
جَنَى الرِّفعةِ
في شُروطِ الأئمةِ التسْعة
صحيح البخاري
صحيح مسلم
سنن أبي داود
سنن الترمذي
سنن النسائي
سنن ابن ماجه
موطأ مالك
مسند أحمد
سنن الدارمي
مركز أضواء السنن
نظم وتعليق
د. حمزة بن فايع الفتحي


بسم الله الرحمن الرحيم

(وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) [الأحزاب ٣٤]. قال قتادة رحمه الله: (أي: السنة، قال: يمتن عليهم بذلك.

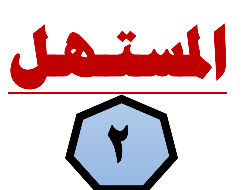
يا أَفصَحَ الناطِقينَ الضادَ قاطِبَةً ** حَديثُكَ الشَهدُ عِندَ الذائِقِ الفَهِمِ

حَلَّيتَ مِن عَطَلٍ جيدَ البَيانِ بِهِ ** في كُلِّ مُنتَثِرٍ في حُسنِ مُنتَظِمِ

بِكُلِّ قَولٍ كَريمٍ أَنتَ قائِلُهُ ** تُحيِ القُلوبَ وَتُحيِ مَيِّتَ الهِمَمِ

أحمد شوقي رحمه اللهُ.

فهرس الموضوعات


المستهل

الحمد لله حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد...

فمن أجلِّ روائعِ الحياة مطالعةُ كتب المحدثين، والعيشُ في جنبات السنة النبوية، الدالة على أعظم شخصية تاريخية، رفعها اللهُ ، وجعلها قدوةَ الناس صلى الله عليه وسلم، وتبقى كتبهم منائرَ هداية، وعنوانًا عليهم في فهم السنة، وكيفية تناولهم لسردها وتبيانها ، ولذلك ظهر ما سُمي عند العلماء (مناهج المحدثين) أي طرائقهم في كتبهم ، ولذلك عظُمت العناية بها من خلال علوم الحديث، وكشف مناهجهم وشروطهم في مصنفاتهم، لا سيما، وأكثرهم لم ينصَّ على تلك الشروط والمناهج، حتى جاء الإمام الحازمي رحمه الله (٥٨٤) هـ فألف (شروط الأئمة الخمسة)، ثم بعد ذلك أتى ابن طاهر المقدسي رحمه الله (٥٠٧)هـ فكتب (شروط الأئمة الستة)، وقد كانت مختصرةً في كشف تلكم الشروط، ولكن المحدثين ومن بعدهم ومحققي كتب السنة أضافوا أشياء عليهم، اتضحت لهم بالممارسة والاستقراء، ...

فأحببتُ أن أجمعَ ذلك كله في (منظومة علمية) ، أضبطُ بها مناهج هؤلاء الأئمة، وأضيف إليها ما أقف عليه من فوائد تتعلق بالشروط والترتيب، ضامًا إليهم ثلاثة كتب علمية ثمينة، اشتهرت مع الستة، (بالكتب التسعة) وهي وإن كانت تعبيراً استشراقيًا، إلا أنه غلبَ على أهل العلم، وتلقوه بالرضا دون نكير، لا سيما وهو يعبر عن كتب حديثية جليلة، جُمعت في الكتاب الموسوم (بالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) الذي أخرجه المستشرقُ الهولندي فنسنك[1] (١٩٣٩) م، ونقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله، في سبعة مجلدات، فجاء خدمةً عظيمة، لتلكم الكتب، واشتهر المصطلح في الموسوعات البرمجية وغيرها، وصار ينصرف إلى الكتب التسعة المشهورة، المتمثلة في الأمهات الست، ثم مالك وأحمد والدارمي، ولم يكن ذلك منهم متعمداً معينًا أو إقصاءً مقصوداً، بل اعتُبر ذلك عملاً ضخمًا، وبات طريقةً من طرق استخراج الحديث النبوي الشريف...

---

١. المستشرقُ الهولندي فنسنك (١٩٣٩) م.

وقد صح قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه :(إن الله ليؤيدُ هذا الدينَ بالرجل الفاجر) (١).

ولذلك عمدتُ إلى تلك الشروط، ونظمتها، ذاكراً بعضَ فوائدها، ومهمات تتعلق بالكتب التسعة، ونقشتها في هذه المنظومة اللطيفة التي سميتها: (جَنَى الرفعة في شروط الأئمة التسعة).

مذكراً نفسي بتلكم الشروط ومعالمها، وحافزاً للتلاميذ أن يضبطوها، ويتعرفوا عليها عن كثب، لأنه يحصلُ الخلطُ في تلك الشروط، ويُدخل بعضها ببعض، بل قد تجد بعض المختصين،لايلقون لها بالاً ولا اهتمامًا، برغم أهميتها في الوعي الحديثي، لأنها مفاتيحُ تلك الكتب، وسبلها المستقيمة.

وتبقى تلك القواعدُ الحديثية معرضةً للنسيان، ما لم يستدم التكرار، أو تستغل عارضة التدريس الأسبوعي، أو ينظمها ذلك الشعر الضامن الضابط، الذي لهج به أئمة أجلة، كالعراقي(٨٠٦)هـ والسيوطي(٩١١)هـ وابن

---

(١) البخاري(٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

مالك(٦٧٢)هـ، وابن الجَزري(٨٣٣)هـ والشاطبي(٥٩٠)هـ، ومحمد مولود فال(١٣٢٣)هـ وحافظ الحكمي(١٣٧٧)هـ.. وغيرهم رحمهم الله جميعا.

والعبدُ الفقير على جادتهم في التقريب والتيسير، وتقديم ما يحسنُ في هذا الباب، وقد علقتُ عليها شرحًا بسيطًا، أرجو أن يكون منارةَ إيضاح، وسراجَ إفصاح، لمهمات النظم المصقول، لأن طرح المنظومة بلا كلام مشروح، ومنطق منير مطروح، سيقلل من حجمها وثمراتها في الناس.

ولذلك نقدمُ النظم وشرحه، والشعر وبيانه، حتى لا يكونَ لأحد مندوحة في البعد والانصراف، لاسيما لمحبي المنظومات، وهواة الشعر والأرجوزات، سائلاً المولى الكريم حسنَ الفهم، وصحةَ القصد، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والحمدلله رب العالمين...

٢١/٥/١٤٣٣هـ

١١/٤/٢٠١٢م

نصُ المنظومة...

الحمــــدُلله نُحِـــبُّ الأَثَــرا ** وأهلَـه العِظـامَ مَـنْ قَـد نَشَـرا

ســـنةَ أحمــدٍ لنــاَ وبيَّنـــا ** منهاجَـهُ الرصـين إذ قـد سـنَنا

بالكتــبِ المصــابح الأنــوارِ ** حاويـــةَ الأخبـــار والآثـــارِ

ـــــــــــــــــــــــــــــ

وصـــلى ربُّنـــا بـــلا نقصـــانِ ** وســلَّم علــى النبــي العــدنانِ

مَــن جــاءَ بــالحقِ وبــالطريقِ ** وصــاننا مِــنْ غُمَّــةِ المضــيقِ

وبعـدُ فـالعلمُ بـذي المنـاهجِ ** لمعشـــرِ الأئمـــةِ الأبـــاهج

ـــــــــــــــــــــــــــــ

مِـن خيـرِ مـا ينفـعُ في القواعـدِ ** لــذا الحــديثِ البــاهرِ الأماجـدِ

فخــذه في منظومــة لطيفــةْ ** حبّرتهـــا بـــالأنجم المنيفـــةْ

أُريـــدها تُرسِّـــخُ الشـــروطا ** وتكشــفُ الثابــتَ والمخلوطــا

ـــــــــــــــــــــــــــــ



وكـم تـرى مِـنْ باحـثٍ في الأثـرِ ** لا يدري مـا الشـرطُ لتلك الزُهُـرِ

فيـدَّعى التصـحيحَ والتعلـيلا ** ويخلِـطُ الأصـيلَ والـدخيلا

نعتُّهـا جَنـاَءَ هـذى الرفعـةِ ** في مـنهج الشـيخةِ تلـكِ التسـعةِ

____

فخـذها بالدقـة والتحديـدِ ** مِـنْ غيـرِ إعـوازٍ ولا تمديـدِ

الجعفيْ والقُشيري ما قد شرطا ** نصـًا صـريحًا بينًـا أو نقطـا

وإنهـم قـد لزمـوا العـدولا ** وانتهجـوا الثقـاتَ والفضـولا

____

مِـنْ غيـرِ قطـع أو ردى تخلـيطِ ** وانَتَقيـا مِـنْ غيـرِ مـا تفـريطِ

ثُـمَّ البخـاريْ فـائقُ التحريـرِ ** نـأى عـن العـلا وأبـي الزبيـرِ

واشـترَطَ اللقـاءَ بـينَ النقلـةْ ** خلاف "مسلمٍ" فما قد حصَّلهْ

____

وقـال مـا أدخلـتُ في الكتـابِ ** غيـرَ الصـحيحِ بـيّن الصـواب

وقــد تركــت خشــيةَ الإمــلالِ ** وصــلى واســتخار في المقــالِ

وصـــيغَ في تبيينِـــه الشـــروحُ ** منها المحشّي والذكي الطموحُ

الفـــتحُ والعمــــدةُ والإرشــــادُ ** وبهجـــةُ النفـــوس والإســـعادُ

ـــــــــــــــــــــــــــــ

والكوكــبُ الأعــلامُ ثــم اللامــعُ ** فـــاحظَ بهـــا فإنهـــا ســـواطعُ

"ومســلم" جــاء بُعيــد ســيدهْ ** في نهجـــهِ وســـيره ومُســـنَدَهْ

ومِـــنْ ثـــلاثِ مائـــةِ الألـــوفِ ** صـــنَّفتُ مـــا كـــانَ علـــى شـــفوفِ

ـــــــــــــــــــــــــــــ

وكـــلُّ مـــن يكتـــب في الإســـنادِ ** مـــدارُهم بمســـندي القيـــادي

وإنَّـــه قـــد فـــاقَ بالترتيـــبِ ** وبالصـــناعاتِ وبالتهـــذيبِ

لكنَّـــه مـــاتَ ولـــم يُبـــوبِ ** فمـــا تـــراهُ فقـــهُ هـــذي النُّخَـــبِ

ـــــــــــــــــــــــــــــ

"كـالنووي" و"القرطبـي" و"اليحصـبي" ** ونحـوهم مِـنْ راقمـي التعقـبِ

وفيــه بعــضُ مــا قــد يَنقطــعْ ** كعشْــرةٍ أو فوقهــا فــلا تُــرَعْ

وعُـد إلـى تنكيـتِ ذلـك الجَبـلْ ** أعنى أبا الفضلِ العزيز في العملْ

ـــــــــــــــــــــــ

مُشــروحُ بــالمفهمِ والمنهــاجِ ** والمعلــمِ الإكمــالِ والــدبياجِ

وهــو وحيــدُ هــذه المقدمــهْ ** لــم يفعــلِ الأئمــةُ المتمِّمــة

ضــمَّنَها قواعــداً حســانا ** وفيهـا مـا طَـابَ ومـا قـد شَـانا

ـــــــــــــــــــــــ

ثـم "أبـوداود" صَّنفَ السـننْ ** فكـان كالسهلِ النفيسِ الممتنْ

خصَّصــه بهــذِهِ الأحكــامِ ** وقــال في المُرسَــل للأنــامِ

ـــــــــــــــــــــــ

بأنهــا أصــحُّ مــا في البــابِ ** مشـهورةٌ عـن غيـر مـا اضطرابِ

ذكـرتُ مـا صـحَّ ومـا تُقـاربُ ** ومابــهِ عيــبٌ فــإني عائــبُ

ومــا يكُــنْ مِــنْ منكــرٍ بينتــهُ ** ولـيسَ مِـنْ متـروكِ قـد ذكرتُـهُ

ـــــــــــــــــــــــ

وما سكتُّ عنه فهو صالحُ ** تَحِملُه رفاقُهُ المـوالحُ

وبعضُهم حسَّنه بمطلقِ ** "كالنووي"و"ابن الصلاحِ" المُفْلقِ

لكنَّ ذا المسكوتَ في أقسامِ ** ما صحَّ أو كانَ على تمَام

____

ومنهُ ما حُسّن في ذواتهِ ** أو جاءَ معضوداً على هناتهِ

وهذهِ الأكثرُ بذا بالكتابِ ** ومنهُ ما ضُعِّف للتصابي

مشروحُ بالمعلَم والصعودِ ** والفتحِ والعونِ وبالمجهودِ

____

وحشى ذا الزرعي تلك الحاشيةْ ** وجاء بالفوائد المشافيةْ

و"الترمذي" مِنْ ترمذٍ قد جاءَ ** وابتدعُ التقسيمَ والإرضاءَ

ومَنْ يكُنْ في بيته المصَنَّفُ ** فهو نبيٌّ ناطقٌ مُرفرِفُ

____

وقرَّروا كتابهُ أقسامُ ** ما صحَّحَ الأئمةُ الأعلامُ

والثـاني مـا وافـقَ أهـلَ الســنـنِ ** وثالـــثٌ للرصـــدِ والتبـــينِ

ورابــعٌ معمــولُ أهــلِ الفقــهِ ** مُوسَّـــعٌ فكُــنْ علـــى تنبّـــهِ

ـــــــــــــــــــــــــــ

يُشــــيرُ للفقـــهِ وللشــــواهدِ ** وجـــاء بالصـــنعةِ والفرائـــدِ

مشروحُ بالعارضِ والنفحِ الشذيِ ** والحنبلي الباقي وهذا الأحوذي

والســـننُ الكبـــرى للنســـائي ** بحـــرٌ مِـــنَ التعليـــلِ والأنبـــاءِ

ـــــــــــــــــــــــــــ

اســـتخرَ الله بـــذا الأشـــياخِ ** وكـــاد أن يعلـــو بـــلا تراخـــي

وإنـــه مـــن أحســـن التصـــنيفِ ** وأبـــين التعليـــلِ والترصـــيفِ

والمُجتبـى صـحَّ بغيـر منكـرِ ** كمـا يقـولُ محمـدُ بـنُ الأحمـرِ

ـــــــــــــــــــــــــــ

وابـــنُ كثيـــرٍ ردَّ في اختصـــارهِ ** لكونـــه علَّـــلَ في آثـــارهِ

حشَّى عليه "السندي" و"السيوطي" ** وبعضُ ماكانَ من "الشنقيطي "

وقــد تحاشــاهُ كثيــرُ النــاسِ ** للعلــلِ الشــديدةِ المســاسِ

____

وامتــازُ عصــرُنا بشــرح "آدمِ" ** محمــدِ المجتهــدِ المــلازمِ

وبعــدهم مُصــنَّفُ ابــنِ ماجــةِ ** وزانَــه تقــديمُ ذي الديباحــةِ

لــم يكُــنْ ابتــداءً في الجماعــةْ ** ألحقــه ابــنُ طــاهرٍ وذاعــه

____

وانــه في التقــديمِ والترتيــبِ ** لكونـه يَـروي عـنِ المكـذوبِ

و"المزي" ما يروي وقد تفرَّدا ** مضـعفٌ في غالـب وقـد شـدا

بكونــهِ زادَ علــى الرفــاقِ ** وافتــتْحَ الكتــابَ بالــدقاقِ

____

وزاد مــا يربــو وفــوق ألــفِ ** وفيهــا مــا صــحَّ بغيــر ردفِ

ومغْلطــايٌ شَــرحَ الكتابــا ** لكنَّــه مخطــوط واســتطابا

حاشيةَ "السيوطي" والسندِيّ ** لا يشــتهيها الطــامعُ الــذكيُّ

____

أمـــــا إمـــــامُ دارِ الهجـــــرةِ ** فــذكرُهُ يفــوقُ أهــلَ الشــهرةِ

قــد ســهَّلَ الحــديثَ بالموطــأ ** وطــارَ حُسْــنـًا فائقــًا وغطَّــى

وإنَّـــــه ســــــمَّاه للمواطـــــأةْ ** مِــنْ نحــو ســبعين بــلا مناوأة

____

وقيـــل بـــل يسّـــره تيســـيرا ** كمــا تــراه واضـــحًا منيــرا

يشـــتملُ الحــديثَ والآثـــارا ** وذي الفتـــاوى بعـــده وســـارا

بمكثـــهِ اربعـــينَ في التـــأليفِ ** فخــذْ مــن الإبــداع في التصــنيفِ

____

صحَّحه "الشافعي" بعد الذكرِ ** ولــم يكــن "محمــدٌ" بعصــرِ

وعــدَّهُ "رَزيــنُ" في ذي الســتةِ ** وابــنُ الاثيــر عــدّهُ في الجمعــةِ

مشــروحُ بالتمهيــدِ واســتذكارِ ** والقـــبسِ التنـــويرِ للأســـرارِ

____

والمســنَدُ الكبيُــر في الإســلامِ ** مُعتمــدٌ مــن غيــر مــا كــلامِ

نقّــاهُ ممـــا يَقــربُ المليونـــا ** فـــانظره قــد تلقــى بــه عيونــا

قال أبو موسى أعني "المديني" ** لــم يـرو أحمــدُ عــن المطعــونِ

____

وشــرطهُ أقــوى مــن الســجزيّ ** لــم يــروِ للمصــلوب والمهــويّ

لكنَّـــه روى لســـوء الحفـــظِ ** يعضـــدُ مـــا كـــانَ بغيـــر لفـــظِ

وقيـل قـد خـلا مـن الموضـوعِ ** وفيــه تفصــيلُ لــذي الجمــوعِ

____

فبعضُــهم نفــى وبعــضٌ جزمـا ** كالحافظ "الجوزيّ" فيمَ وهماَ

وأنكـر "الحـراني" ذا المكـذوبا ** المُخْتلقَ المصنوعَ والمعطوبـاِ

و"الحـافظُ" الفـذُّ أبـو التحريـرِ ** مـا فيـه مـن أصـلٍ سـوى يسـيرِ!

____

كقولـهِ "يـدخلُ فيهـا زَحْفـًا" ** فـــلا يُصـــحُّ مطلقـــًا ووقفـــا

وذبَّ بـــالقولِ الـــذي تســـدّدْ ** فأنصـــفَ النـــاسَ بـــه وأســـعدْ

قسَّمه أقسامًا "الساعاتي" ** ما قد رواهُ الابنُ باستثباتِ

ـــــــــــــــــــــ

وإنّه ثلاثةُ الأرباعِ ** فكن على تمييزه بواعِ

وما رواهُ عن أبِهْ وغيرِهِ ** وما يزيدُ بعده لغيرِهِ

وما قَرَاه دونما سماعِ ** وبعدَه وجادةُ الأتباعِ

ـــــــــــــــــــــ

وسادسٌ روايةُ "القطيعي" ** عن غيرِهِم بدونما ترقيعِ

رتَّبه "الحافظ" بالأطرافِ ** و"البنا" بالأبواب والألطافِ

وأوصلَ البلوغَ بالأماني ** فجاء بالنقشِ لذي المباني

ـــــــــــــــــــــ

و"شاكرٌ" في رُبعِهِ قد عَمِلا ** مُخرِّجًا مُحَقِّقًا مُعدِّلا

وطُبع الآنَ مِنَ الرسالةْ ** مُحقِّقًا بآلةٍ وَهَالَه

و"الدارميُّ" سننًا لا مُسْندا ** وخَطَّأوا الذي له قد نقدا

ـــــــــــــــــــــ

معاصـرُ "البخـاري" واسـتفادا ** "مسلمُ" و"الترمـذي" وأجـادا

في تلكـــمُ المقدمـــةْ الثمينـــةْ ** فإنَّهـــا وافيـــةٌ ســـمينةْ

وإنَّـــه الأمثـــلُ بالجماعـــةِ ** لحُسْـــنهِ ودقـــةِ الصـــناعةِ

ـــــــــــــــــــــــــ

يقولهُ "الحـافظُ" و"النـواوي" ** "وابن الصلاح" الفذُّ و"العلائي"

شـروحه لـم يحـظَ بالأقـادمِ ** لكنَّـه الحـظُّ للشـيخِ "عاصـم"

أطنبـــه بفـــتح ذا المنـــانِ ** وجـــاء بـــالمُبهِج في المعـــاني

ـــــــــــــــــــــــــ

وضـــمَّهُ الحـــافظُ في الإتحـــافِ ** في العَشْـــرةِ الأمـــاهر الأكنـــافِ

واعلـــم بـــأن هـــذي الســـننا ** جمعهـــا الزهـــري ثـــم دوَّنـــا

وعُـــرف التـــدوين منـــذ القـــدمِ ** خـــلاف مـــن تبقـــى بـــلا شـــزمِ

ـــــــــــــــــــــــــ

حــــرره الخطيـــبُ في التقييـــدِ ** وقـــال عـــن حصـــرٍ وعـــن تحديـــدِ

وعُـرف الأصـحابُ بالصـحائفِ ** "كالهاشمي" "التميمي" ذي اللطائفِ

صـادقةُ الصُـحْفِ "لعبـدالله" ** و"الاشعري" و"الأوفى" في تباهي

"وجـابرٌ" همَّـامُ لابـن صـخرِ ** هــذا هــو العلـمُ فخُـذْهُ فـادرِ

____

وَكتَـــبَ الأتبـــاعُ كالصـــحابةْ ** "سعيدُ" "أيوبُ" أبو "قلابه"

"مجاهـدٌ" يَصْـعَدُ نحـو الغرفـةِ ** ليـأتي بالكُتْـبُ بغيـرِ خيفـةِ

أولُّ مَـــنْ صَّـــنفَ في الرجـــالِ ** "الليـثُ" و"الفضـل" و"ذو الكمـالِ"

____

و"ابن جُريج" ضَّعفَ و"معمرُ" ** و"ابـنُ يسـار" جـامعٌ مُشـتهرِ

"وابنُ أبي عروبةْ" و"الأوزاعي" ** و"شـعبةٌ" الثـوري ذو الإمتـاعِ

وتـمَّ مـا أُريـدَ في ذي الرفعـةِ ** فخُـذها كـالمتقنِ حـينَ السـرعةِ

____

نظمتُهـــا في يـــومِ أو يـــومينِ ** بفضـلِ رِّبنـا عظـيمِ العَـونِ

وخُــذها مجانــًا بــلا أثمــانِ ** فقــد نــأوا لأصــغرِ المعَــاني

والحمــدُ لله علــى مــا أنعمــا ** فقــد هَــدَانا ربُّنــا وأَكرمــا

واختصَّــنا بهــذهِ الشــروطِ ** نُعيــدُها في النــاسِ بالمضــبوطِ

ـــــــــــــــــــــــ

الشـــرح...

الحمـــدُلله نُحـــبُّ الأَثَــرا ** وأهلَـه العظـامَ مَـنْ قَـد نَشَـرا

ســـنةَ أحمـــدٍ لنـــاَ وبيَّنـــا ** منهاجَـه الرصـين إذ قـد سـننا

بالكتـــب المصـــابحِ الأنـــوارِ ** حاويـــة الأخبـــار والآثـــارِ

____

افتتح الناظمُ المنظومة بالحمدله على طريقة الكتاب والمصنفين وهو اقتداء مشهور بالكتاب العزيز، فأول سورة فيه (الحمد لله رب العالمين) وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح خطبة وأحاديثه بالحمد لله، كما ثبت ذلك في هديه في خطبة الجمعة في صحيح مسلم(١).

وصَّحت خطبةُ الحاجة المروية عند أحمد في مسنده وأبي داود والنسائي[٢] ونص خبرها كمال ابن مسعود رضى الله عنه:(علَّمنا النبي صلى الله عليه

---

(١) مسلم (٨٦٧)

(٢) المسند (٣٥٣٦) ابو داود (١٨٠٩) والنسائي (١٣٨٧).



خطبة الجمعة الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله.. إلخ. قال : ثم تذكر حاجتك).

والحمد معناه وصف المحمود بصفات الكمال، وقيل هو الثناء على المحمود بصفاته الاختيارية مع حبه واجلاله.

فيقول: أحمد الله أن حببني للأثر، وهو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مشتق من الأثر، هو الشئ المنقول والمتوارث، ومأخوذ من أثر الحديث إذا نقله ورواه عن غيره، وهو مرادف الحديث، وخصه بعضهم بقول الصحابي، والصواب أنه عام، ولذلك يقال للمحدث (أثري) وتلقب به جماعةٌ ، ودلالته اللغوية تدل على ذلك(١).

ونحبُّ أهله العظام، الذين هم رجالاتُ الحديث، من اختصوا به حفظًا، وفهما، ونقداً، وتعليلاً، أحببناهم لحفظهم سنةَ رسول الله، وقيامهم عليها نشراً، ودعوةً وبلاغًا، لقوله صلى الله عليه وسلم (بلغوا عني ولو آية) (٢)

(١) شرحُ التبصرة والتذكرة للعراقي ١/ ٩٨ .
(٢) الجامع الصحيح (٣٢٧٤)



وقوله (نضّرَ الله امرءاً سمع مقالي فحفظها، ثم ذهب بها إلى من لم يسمعها)[1].وإنما عظَّمهم الناسُ لحملهم الآثار، وصونهم لها، ومحبتهم الصادقة لدين الله، التي حملتهم على السفر، والاغتراب واحتمال الشدة والمشاق:-

هذا سيدُ التابعين سعيدُ بن المسيب رحمه الله يقول : (إن كنتُ لأرحلُ الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد).

ولذلك هم نشروا السنة، وأوضحوا منهاج رسول الله الرصين بما صنفوه من كتب، وما خلفوه من جوامع ومسانيد، فكانوا كالمصابيح لأهل الأرض، وكالنجوم لأهل السماء.. كما قال:

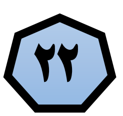
بالكتـــبِ المصـــابح الأنـــوار ** حاويـــة الأخبـــار والآثـــارِ

وهذه الكتب تشعُّ بالأنوار المتمثلة، في سنن رسول الله وهديه وشمائله وأيامه وأخباره، وقد جعل الله فيها الهديَ الأكمل، والعاقبة الحسنى.

قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب : ٢١)

---

(١) ابو داود (٣٦٦٠).



وصــــلى ربُّنـــا بـــلا نقصـــانِ ** وســـلَّم علـــى النبـــي العـــدنانِ

مَـــنْ جـــاءَ بـــالحقِ وبـــالطريقِ ** وصـــاننا مِـــنْ غُمَّـــة المضـــيقِ

____

هنا تقليد علمي، كما افتتح بالحمد، ناسبَ أن يردف بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة هنا، ومعناها في المشهور الثناء على رسول الله في الملأ الأعلى كما فسرها أبو العالية الرياحي رحمه الله وهو صلى الله عليه وسلم سيد أهل الحديث، وإمامهم الذي جاء بالحق المبين ، وبالطريق المستقيم، واستنفذ الله به الناس من الظلمات إلى النور، وصرف الله به عنا ظلمة مضيق الحياة وغمها وتعبها.

أهمية مناهج المحدثين :

وبعـدُ فـالعلمُ بـذي المنـاهجِ ** لمعشـرِ الأئمـةِ الأبـاهجِ

مِـنْ خيـرِ مـا ينَفـعُ في القواعـدِ ** لذي الحديثِ الباهرِ الأماجدِ

فخُـذْه في منظومـةٍ لطيفـةْ ** حبرتهـا بـالأنجمِ المنيفـةْ

أُريـدها تُرسِّـخُ الشـروطا ** وتَكِشفُ الثابتَ والمخلوطا

ــــــــــــــــــــ

وبعد: هي أسلوب بلاغي يؤتى به للدخول في الموضوع المقصود، وترجم لها البخاري في صحيحه (باب استحباب كلمة ،أمابعد) في الخطبة.

يقول هنا: إن العلم بمناهج المحدثين أي شروطهم، لأن المنهج عند الأقادم هو الشرط، ولذلك سمى الحازمي كتابه "شروط الأئمة الخمسة"، وابن طاهر المقدسي "شروط الأئمة الستة". وهي من خير المطالب، وأنفع المكاسب.

فالشرطُ هو المنهجُ الذي يعتمده المحدثُ في تأليف كتابه وسرد أسانيدِهِ ورجال راويه نقداً وتعليلاً.

والمراد بالمنهج الطريق الواضحه المسلوكة. ويمكن أن تعرف مناهج المحدثين تركيبًا بأنها : (الطرق أو السبل التي سلكها المحدثون في رواية الأحاديث وتصنيفها بحسب شروط معينة، والتعليق عليها).

وقوله : لمعشر الأئمة الأباهج : يقصدُ المحدثين، وصيارفه الإسناد والعلل، الذين وضع الله عليهم البهجةَ والنضرة الحديثية التي تحمل الناس على محبتهم وإجلالهم، وهم كذلك بكتبهم وإنتاجهم الحديثي، قد أبهجوا الناس وأسعدوهم ، وقراءة كتبهم تورث البهجةَ والسرور، وهذا شئ مدروك محسوس.

وهذه المناهج والشروط مسارٌ نافع في قواعد علم الحديث، حيث تؤصل لمناهج النقد والتعديل والتعليل، ويكشف طرائقَ المحدثين في التنصنيف، ومدى الدقة الحديثية تشدداً وتساهلاً، وتكشف مراحل التدوين الحديثي، ومثلها يقوم مقام مقدمة الكتاب التي تساعدُ على فهم أسرار الكتاب المصنف،

وتسبر عقلية المحدث التصنيفية، ومدى قدرة الباحثين للإفادة منه أو الإضافة عليها.

ولما كان المحدثون لا يكتبون مقدمات لمصنفاتهم، ناسب الاهتمام بهذا العلم مساعدةً للقراء، وحمَلة الحديث على فك سر كل كتاب حديثي، بحيث يسهل تقريبه للناس، وتعرف مدى قوته وجودته من ضعفه وسهولته.

فخذه في منظومة لطيفة، معناها سهلة لطبيعة الشعر، الذي يقوم على تقريب العلم وتبسيطه، وكسر صعوبة القواعد العلمية، يرصها رصا بديعًا ، يجعل التلاميذ يضبطونها ضبطًا لا يحرقه النسيان.

وقد حررها كما قال : بالأنجم المنيفة، أي زينها بالأنجم المرتفعة، التي تشع جمالاً وإنارةً وحُسْنا...

وحفظها ما من شك أنه سيرسخ الشروط في ذهن الطالب ، ويكشف أغاليط الناس في ذلك، لاسيما وقد اختلف في بعض الشروط ما بين نافٍ ومثبت، ومعمِّم ومفصِّل!!

أهميةُ العلمُ بالشروط الحديثية :

وكم ترى مِنْ باحثٍ في الأثرِ ** لا يدري ما الشرطُ لتلك الزُهُرِ

فيدَّعى التصحيحَ والتعليلا ** ويخلِطُ الأصيلَ والدخيلا

____

أي قد تلقى بعض من يشتغلُ في مصطلح الحديث أو تحقيقاته، لا يهتم بشروط أولئك المحدثين، بحيث يحاكمهم إليها، فينسب إليهم ماليس لهم، ويلزم بعضهم باجتهادات بعض!! وهذا نوع بين الخلط والإدخال المذموم، ولذلك كانت الشروط فواتح الكتب، ومقدماتها الكاشفة للمضامين...

نعتُّها جَناَء هذي الرفعةِ ** في منهج الشيخةِ تلكِ التسعةِ

فخذها بالدقة والتحديدِ ** مِنْ غيرِ إعوازٍ ولا تمديدِ

____

المراد بالأئمة التسعة :

المعنى وقد وصفتها وسميتها (جَنىَ الرفعة في شروط الأئمة التسعة) وإنما مد جنى إلى جناء للضرورة الشعرية المعروفة.

والشيخةُ التسعة، هم أصحابُ الكتب التسعة من المحدثين المشاهير(البخاري (٢٥٦) ومسلم(٢٦١) وأبو داود (٢٧٥) والترمذي (٢٧٩). والنسائي (٣٠٣) وابن ماجه (٢٧٥) ومالك (١٧٩) والدارمي (٢٥٥) وأحمد (٢٤١) هـ، رحمهم الله جميعًا، والذين اصطلح عليهم حديثًا، إطلاقُ هذا اللقب، وهذا وإن كان إطلاقًا استشراقيًا، باعتبار العمل المكنوز في (المعجم المفهرس)، فإنه لا يضر ذلك، لأن عملهم ذلك كان محل اهتمام المسلمين قاطبة، تلقاه الناسُ بالقبول، وإن كانت نواياهم سيئة، قد جاء في الصحيحين (إن الله ليؤيدُ هذا الدين بالرجل الفاجر) (١).

وقد حرصتُ أن تكون هذه المنظومة دقيقةً ، في وصف الشروط وضوابطها في إطارها المحدد، بلا إعواز مخل، أو مد مبالغ فيه.

لأن الإخلالَ يبتر الفائدة، والتطويل يجهض الهمم عن المواصلة، فالاعتدال هو الغاية، وخير الأمور أوساطها.

---

(١) البخاري (٣٠٦٢) ومسلم(١١١) عن أبي هُريرة.

منهج البخاري ومسلم :

والجعفيْ والقشيري ما قد شرطا ** نصـًا صريحـًا بينـًا أو نقطا

لكنـــه بالتفســـير واســـتقراء ** يدرك ما كـان مـن الخفـاءِ

قوله : الجعفي نسبة إلـى قبيلـة البخـاري، وهـو قـد بـدأ الآن في سـرد الشـروط، واسم البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (نسـبة إلـى جعف من سعد العشيرة من مذحج من العرب القحطانية) .

قال الذهبي رحمه الله:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَـهْ، وَقِيْـلَ بَذْدُزْبَه، وَهِـيَ لَفْظَةٌ بخَارِيَّةٌ، معنَاهَا الزرَّاعُ.

أَسلَمَ المُغِيْرَةُ عَلَى يَدِي اليَمَان الجُعْفِيِّ وَالِي بُخَـارَى، وَكَـانَ مَجُوْسِـيًّا وَطَلَـبَ إِسْمَاعِيْلُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ العِلْمَ.) (١)

وقال ابن كثيررحمه الله: ت (٧٧٤) هـ:

هو (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَهْ الجعفي مولاهم أبـو عبد الله البخاري الحافظ، إمام أهل الحـديث في زمانـه، والمقتـدى بـه في أوانـه،

(١) سير أعلام النبلاء: ١٢ / ٣٩١،

والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه، وكتابه الصحيح يستقى بقراءته الغمام، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه، وكذلك سائر أهل الإسلام،..). [1]

والقشيرى، يعني الإمامَ مسلم بن الحجاج النيسابوري، وينسب إلى قبيلة قشير، متوفى سنة (٢٦١)هـ.

قال فيه الذهبي رحمه الله :" هو الإمام الكبير الحافظ المجود الحجة الصادق أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري صاحب الصحيح فلعله من موالي قشير" .

وهذان إماما صنعة الحديث وعلومه، ناسب تقديمها لمحلهما في الإمامة والتأليف، حيث تلقت الأمة صحيحيهما بالقبول والإجلال، إلا أحرف يسيرة، وبات التعويل الاحتجاجي على مضمون كتابيهما، لأنهما أصح وأحسن ما كتب بعد القرآن الكريم، وقد اجتهدا في جمعهما وتحريرهما جهداً يفوق الوصف، حيث رحلا وسافرا، وتحملا المشاق، ولحقتهم الأرزاء والمتاعب،

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٥٢٦ .

ولم يصدهما ذلك عن قفو الدقة وتحرير أوعر المسالك في الوصول إلى الغاية المرضية، والخاتمة المستطابة.

فوضع الله لكتابيهما القبول، وباتا محفلَ أهل السنة حفظًا وفهمًا، وحبًا وتدريسا، وتخلقًا ومذاقًا، ومن حفظ الصحيحين، فقد حفظ علمًا كثيراً، وبات مقدمًا مشهوراً، لاسيما في هذا العصر الذي هانت فيه العزائم، وتضعضع الناس، والله المستعان.

والناظم في هذين البيتين لخص كلام ابن طاهر المقدسي رحمه الله في كتابه (شروط الأئمة الستة) حيث قال: " اعلم أن البخاري ومسلم ومن ذكرنا بعدهم، لم يُنقل عن أحد منهم أنه قال : شرطتُ أن أخرج في كتابي، ما يكون على الشرط الفلاني، وإنما يعرف ذلك من سَبَرَ كتبهمَ، أي فحصَهاَ، فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم" (١).

(١) شروط الأئمة السنة لابن طاهر المقدسي ص١١

أي أن معظم الستة لم يقولوا شروطهم كالتالي، ولـم يـذكروا مقـدمات كاشـفة لـذلك! وإنمـا اسـتخرج الحفـاظُ شـروطهم مـن عملهـم الحـديثي، وطـريقتهم البحثية.

والوحيد الذي كتب مقدمة، هو الإمام مسلم أبو الحسين رحمه الله، ولـم يـذكر شرطه في كتابه، وانما ذكر قواعد اصطلاحية، والبقية بلا مقدمات سـوى رسـالة أبي داود رحمه الله، إلى أهل مكة، والتي تصلح أن تكون مقدمة لكتابـه السـنن، ولم يقل فيها شرطي كذا، ولكنه وصف فيهـا كتابـه، ويمكـن أن يسـتخرج منهـا الشرط للسنن.

إذن فالبخـاري ومسـلم لـم يشـرطا شـرطـًا صـريحـًا، ولا بينـا ولا نقطـا في ذلـك حرفًا واحدًا، والله أعلم.

ولكن السبرَ الدقيق ومعاينةَ الكتابين عن كثـب، والغـوص في فوائـدهما، عـرف الناس معالم شرطيهما، وأنهما أشدُّ وأوثق من الآخرين.

التزام الشيخين التخريج للثقات:

وإنهـــم قـــد لزمـــوا العـــدولا ** وانتهجـــوا الثقـــات والفضـــولا

مِـــنْ غيـــرِ قطـــع أو ردى تخلـــيطِ ** وانَتقَيـــا مِـــنْ غيـــرِ مـــا تفـــريطِ

والمقصد، أن الشيخين رحمهما الله التزما التخريج للرواة الثقات المعدلين في الغالب ومن قيل فيهما (قد جاوز القنطرة) (١).

قال ابن طاهر : (فاعلم أن شرط البخاري ومسلم ان يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلَته إلى الصحابي المشهور، من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع..) (٢)

وهذا فحوى تعريف الحديث الصحيح، نقل الثقات الضابطين من أول السند إلى منتهاه، متصلاً بلا شذوذ ولا علة.

وفي قوله (من غير اختلاف بين الثقات) يشير إلى دقائق علم العلل الذي برزا فيه رحمهما الله، وأنهما ولا يكتفيان بمجرد توثيق الرجال، بل إن اختلاف

(١) مصطلح اشتهر به أبوالحسن المقدسي.
(٢) شروط الأئمة السنة لابن طاهر ص١٢.



الثقات عندهم علة يجب تحريرها، والخلوص إلى حل ناجع، وإلا كان الاختلاف سندا للتعليل كما يحصل في تعارض الوقف والرفع، أو الوصل والإرسال، أو تداخل المتون والأسانيد في بعضها البعض.

وفي قوله (وانتقيا من غير ما تفريط) أي أنهما كانا يختاران من أحاديث الثقة ما أصاب فيه ولم يغلط، ويتركان من الضعيف ما أخطأ فيه، ولم يصب أو توبع، فالأمر هنا تمييزٌ وانتقاء وهذا قاعدة نفيسة نبه عليها عددٌ من الحفاظ، أمثال أبي عمرو بن الصلاح والحازمي وابن طاهر والذهبي وابن القيم وابن حجر والمعلمي وغيرهم..(١)

ومثل لذلك بقوله:

ثم البخاري فائقُ التحريرِ ** نأَى عن "العلا" و"أبي الزبير"

أي بلغ من دقة تحرير البخاري واستثباته، أن أعرض عن حديث بعض الرواه لشبهة عنده في نفسه، نحو العلاء بن عبد الرحمن، وسهيل بن أبي صالح وأبي

(١) أنظر زاد المعاد (١/ ٣٦٤) والموقظة (ص٧٩) وهدى الساري (ص٣٨١)،

الزبير المكي، وانتقى مسلم من أحاديثهم ما رآه صوابًا وحسنًا، لا سيما مع المعاضده والتعزير(١).

والبخاري أبو عبدالله رحمه الله، كان أشدَّ تحريًا وتدقيقًا من تلميذه مسلم بن الحجاج، حيث أعرضَ عن رجال ثقات، ونقى أحاديث العدول، واشترط التلاقي بين الراوي والمروي عنه بخلاف مسلم المكتفي بالمعاصرة.

(١) انظر النكت على كتاب ابن الصلاح ١/ ٢٨٦-٢٨٨.

حقيقة شرط البخاري :

حيث قال عقبها:

واشـــترَطَ اللقــاءَ بــينَ النقلــةْ ** خـلافَ "مسـلم" فما قـد حصَّـلهْ

وقـال مـا أدخلـتُ في الكتـابِ ** غيـرَ الصــحيحِ بــيّن الصــوابِ

وقـد تركـتُ خشـيةَ الإمـلالِ ** وصــلَّى واســتخارَ في المقــالِ

____

يشير هنا إلى مقولة البخاري رحمه الله :" وضعتُ فِي " الصّحيح " حديثًا إِلَا اغتسلت قبل ذَلِكَ وصلّيْت رَكْعَتين". (١)

وقال أيضًا :" مَا أدخلت في كتابي "الجامع "إِلا مَا صح وتركت من الصحاح لحال الطول"(٢).

ونقل الإمامُ ابن عدي رحمه الله عن بعضهم أنه قال :" حوَّل البخاري تراجم جامعه – أي بيضها– بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره، وكان يصلى لكل ترجمة".

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ١٤٠ .
(٢) تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٤٢ .



فكتاب بهذا الوصف، يمزج الدقة بالتأله، والتحري بالتبتل ، خليق أن تكون له الصدارة بعد القرآن، ويلقى ترحيب كافة الأمة:

كما قال:

صحيحُ البخاريّ لو أنصفوه ** لما خُط إلا بماء الذهبْ

أسانيدُ مثلُ نجومِ السماءِ ** أمامَ متونٍ كمثل الشهبْ

هو الفرقُ بين الهدى والعمى ** هو السدُّ بين الفتى والعطب

____

وهي لطيفةٌ للشيخ الفضل بن إسماعيل الجرجاني.

أشهر شروح البخاري:

وصيغَ في تبيينهِ الشروحُ ** منها المحشي والذكي الطموحُ

الفتحُ والعمدةُ والإرشادُ ** وبهجةُ النفوسِ والإسعادُ

والكوكبُ الأعلامُ ثم اللامعُ ** فاحظَ بها فإنها سواطعُ

____

هنا يذكر شروحات البخاري التي تجاوزت المائة شرحًا وتعليقًا وتحشيةً، ومن أشهرها فتح الباري للحافظ ابن حجر (٨٥٢)هـ وعمدة القارئ للبدر العينى (٨٥٥)هـ قرن ابن حجر، وإرشاد الساري للقسطلاني (٩٢٣)هـ، وبهجة النفوس لابن أبي جمرة الأندلسي (٦٩٥)هـ وهو شرح صوفي، والكوكب الدراري للكرماني (٧٨٦)هـ وأعلام الحديث للإمام الخطابي (٣٨٨)هـ وهو يسير جداً، ولامع الدراري متأخر لعالم هندي يسمى رشيد الكنكوهي، (١٣٢٢)هـ، رحمَ الله الجميع .

منهج مسلم في صحيحه:

ومسلمٌ جاء بُعيد سيدةْ ** في نهجهِ وسيرهِ ومُسندِهْ

ومِنْ ثلاثِ مائةٍ الألوفِ ** صنَّفتُ ما كان على شفوفِ

وكلُّ من يكتبُ في الإسنادِ ** مدارُهم بمُسندي القيادي

ـــــــــــــــــــــــ

هذا هو الكتاب الثاني المسمى الجامع الصحيح للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري كما تقدم، وهو قد جاء بعد البخاري فهو شيخه وسيده في الصنعة، وقد اعترف مسلم في ذلك حينما قال: (دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله، لا يبغضك إلا حاسدٌ، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك).

بل يبالغُ بعض المحدثين، ويعتبر أن مسلماً استفاد كثيراً من البخاري إلى درجة أنه صنع مستخرجاً على كتابه الصحيح كالإمام الدارقطني حيث قال: (لولا البخاري لما جاء مسلم ولا راح)(١).

(١) اليواقيت والدرر شرحُ النخبة للمناوي ١/ ٣٧١.

والصحيح أنه صنع شيئًا مستقلًا ، وأتى بإضافات جديدة، وفريدة، قال أبوعمرو بن الصلاح رحمه الله في الصيانة :" روينا عن مسلم رحمه الله قال: "صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة ". ولكن قال في المفاضلة بينهما، أن البخاري أشد تحريًا وتوثيقًا، ومسلم أحسن صناعةً وترتيبًا، كما هي في نظم لطيف:

مزايا البخاري ومسلم :

تشاجَرَ قومٌ في البخاري ومسلمٍ ** لديَّ وقالوا أيُّ ذينِ تقدمُ؟!

فقلتُ لقد فاقُ البخاريُّ صحةً ** كما فاقَ في حُسْنِ الصناعة مُسلمُ

ـــــــــــــــــــــــــــ

وقال الشيخُ ابن باز رحمه الله معلقًا على عبارة الدارقطني أنها :

من باب المبالغة - رحمه الله -، مسلم إمام عظيم، لكنه تخرَّج عن البخاري، واستفاد منه، وتتلمذ عليه؛ فبالغ الدارقطني" .

وقال العبد الفقير في نظم قواعد الحديث للتهانوى رحمه الله :

المفاضلة بين البخاري ومسلم :

كذاكَ ما أخرجه البخاري ** يفوقُ مسلمًا بلا خيار

لأنـــه أســـتاذُه المقَّـــدمُ ** وشرطهُ أشدُّ وهو أحكمُ

وصـــرَّح الأئمـــةُ النقـــادُ ** لـولاهُ ماكـانَ لـه رشـادُ

ـــــــــــــــــــــ

وقوله عن مسلم:

ومـــن ثلاثمائـــة الألـــوف ** صنفتُ ماكان على شفوفِ

يقصد على وضوح ودقة واستبصار .

وقد افتخر مسلمٌ رحمه الله بنعمة الله عليه حينما قال : (لو أنَّ أهلَ الأرض يكتبون مائتي سنه الحديث، فمدارُهم على هذا المسند). (١)

يعني كتابة الصحيح، فهو مسند، من جهة أنه مروى بالإسناد، وإلا فالإصطلاح تسميته (بالجامع) لكونه احتوى غالبَ موضوعات الدين.

ومثل هذه المدائح، التي يُطلقها بعض العلماء على مصنفاتهم يجوز عند أمن الفتنة، وهي تقع من الصالحين عند الإحساس بالتجرد لله، وحسن توفيق الله له، فيقولها تحدثًا بنعمة الله عليه، أو حفزاً لتلامذته، أن يجدوا ويستثمروا الفرص.

---

(١) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ص٦٧.

مزية صحيح مسلم :

وإنـــه قـــد فـــاقَ بالترتيـــبِ ** وبالصـــناعاتِ وبالتهـــذيب

لكنَّـــه مـــات ولـــم يُبـــوبِ ** فما تـراه فقـهُ هـذي النخـبِ

كـالنوويْ والقرطبـي واليَحصُـبي ** ونحـوهم مـن راقمـي التعقـبِ

____

هنا يسوقُ بعض مزايا صحيح مسلم وهو إن قلَّت رتبته عن شيخه البخاري إلا أنه فاق بحسن الترتيب والسرد الحديثي، وكذلك الصنعة الحديثية ظاهرة فيه متونـًا وأسانيد، بحيث يضبط اللفظ ويحرره جيداً، وينبه على أدوات التحمل ويفرق بينها. كما نص على ذلك الأئمة، وأجلاها السيد الدكتور المحقق حمزه مليباري في كتابه (عبقرية مسلم). وهو من أنفس ما كتب في هذا السياق.

وهو قد توفيَ ولم يبوب ، وقيل بل رتبه على الأبواب ولكنه حذف التراجم لئلا يتضخم الكتاب ! فكل ما تطالعه من تراجم في الصحيح، ليست لمسلم نفسه، ولكنه من وضع الشراح والنساخ كالإمام النووي (٦٧٦)هـ ، والإمام القرطبي (٦٥٦)هـ، والإمام القاضي عياض اليحصبى (٧١٢)هـ ، والقرطبي هنا هو

أبوالعباس المشهور بابن (المزيّن) صاحب المفهم، (٦٥٦)هـ، غير المفسر أبي عبدالله صاحب الجامع لأحكام القرآن (٦٧١)هـ.

والمرادُ هنا أن تلكم التراجم لم يصنعها مسلمٌ، وإنما هي اجتهاد ومن بعض الشراح، وثمرة الخلاف في هذه المسألة، أن تُعرف عقلية المحدث من سواه، لاسيما الفقهاء، وأن يُعزَى العلمُ إلى أهله، وليس بمجرد رؤية الترجمة بقول : بوبه مسلم بكذا وكذا كما يصنع مع البخاري وأبي داود ونحوهما...

حكم منقطعات مسلم

وفيـه بعـضُ مـا قـد يَنقطـعْ ** كعشْــرةٍ أو فوقَهــا فــلا تُــرَعْ

وُعدْ إلى تنكيتِ ذلكَ الجَبلْ ** أعنى أبا الفضلِ العزيزَ في العملْ

____

وهنا مسألة في غاية الأهمية: هل يوجد في مسلم منقطعات، أو معلقات، كما يسميها بعضهم، والجواب : نعم يوجد، ومن أوائل من نبه على ذلك أبو علي الجيّاني رحمه الله في كتابه (تقييد المهمل، وتمييز المشكل) ونصَّ على أنها أربعة عشر موضعـًا، وأقره ابن الصلاح على ذلك كما في الصيانة(١).

وصنّفَ الرشيد العطار، كتابـًا فيها سماه (غُـرَرُ الفوائـد المجموعـة، في بيـان مـا وقع في مسلم من الأحاديث المقطوعة) عدَّها كلها كالجياني، وقد تعقبهما ابن حجر في النكت على ابن الصلاح بكلام محرر سديد، أفاد أنها (اثنا عشر حديثـًا)، وقرر أنها متصلة لا شائبة فيها(٢).

---

(١) صيانة صحيح مسلم ص٧٦.
(٢) انظر النكت على ابن الصلاح لابن حجر، ص١/ ٣٤٤.

قلت : وفيها إبهام وليس كلها معلقة نحو قوله (حدّثني بعضُ أصحابنا) فهذا مبهم وليس معلقاً أو منقطعاً. وقد أشار إلى ذلك الجلال السيوطي رحمه الله في تدريب الراوي، ونقلها غيرها ودون أن يفرق بين المبهم والمعلَّق، حيث قال فائدة : (وقع في صحيح مسلم أحاديث، اتهم بعض رجالها...) (١)

وكلنا ندرك أن الإبهامَ أهونُ من التعليق، وقد لا يعكِّر صحة الحديث كما هو معلوم.

وقوله : فلا تُرَع : أى لا تخف وتجزع من وجودها، فإنها موصولة بحمد الله، وقد أكد ذلك شيخنا المحدث الأصيل الدكتور أحمد معبد وفقه الله في درسه في التدريب في الجامع الأزهر بمصر المحروسة إبان اقامتنا هناك.

وقد راجعته في ذلك لا سيما وقد قال السبكي عن شيخه أبي الحجاج المزي، لما سأله عن الأخبار المدلسة وهي في شكل الانقطاع، هل وصلت خارج الصحيحين، فقال: (لا يسعُنا إلا تحسين الظن)(٢).

---

(١) انظر تدريب الراوي (١/ ٥٤٠) بتحقيق الشيخ طارق عوض الله.
(٢) تدريب الراوي للسيوطي ١/ ١٢٣ .

فقال: الحافظ ابن حجر متأخر عن المزي، وقد ردَّ ذلك كله كما في النكت على ابن الصلاح.

وهو جبل الحديث والعلل، وكتبه شاهده بذلك، كالفتح ومقدمته وتعليق التعليق، والنكت على ابن الصلاح وعلى الأذكار للنووي وغيرها رحمه الله.

وصدق من قال عجزت أرحامُ النساء، أن تلد مثل الحافظ ابن حجر العسقلاني رحم الله الجميع .

أشهر شروح مسلم:

مشروحُ "بالمفهمِ" "والمنهاجِ" ** "والمُعلمِ" "الإكمالِ" "والدبياحِ"

وهـــو وحيـــدُ هـــذه المقدمـــهْ ** لـــم يفعـــلِ الأئمـــةُ المتممـــةْ

ضـــمَّنها قواعـــداً حِســـانا ** وفيهـــا مـــا طـــابَ ومـــا قـــد شَـــانا

____

يقصد من أشهر شروحه المفهم لأبي العباس القرطبي (٦٥٦)هـ والمنهاج لأبي زكريا النواوي (٦٧٦)هـ والمُعلم بفوائد مسلم للمازَري (٥٣٦)هـ، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٥٤٤)هـ، والديباح للجلال السيوطي (٩١١)هـ، وهو حاشية عزيزة جداً.

وهو الوحيد الذي تفرد عن سائر السنن بكتابه مقدمة لصحيحه، وكان الغالب على المحدثين آنذاك أن يشرعوا في سرد الحديث وروايته، بدون فاتحة أو مقدمة تكشف هدف الكتاب والغاية منه، وقد ضمن مقدمته قواعد اصطلاحية، وإفادات مهمة نحو:

بيان سبب تأليف الصحيح، ووجوب الرواية عن الثقات، والترهيب من الكذب في الحديث، وركز على الإسناد، فبين أهميته ونشأته، ومن فوائدها المذكورة :

- ضبط الصحيح القليل أولى من معالجة الكثير الذي لا يميز صحيحه من سقيمه.

- جمع المكررات إنما يصلح للخاصّة الذين رُزقوا التيقظ والمعرفة بأسباب التكرار وعلل الأحاديث.

- من عجز عن معرفة القليل الصحيح فلا معنى لاستكثاره مما لا يميّزه.

أسباب تكرار الحديث:

ذكر الإمام مسلم أنه لا يكرر حديثًا إلا لحاجة، وهي:

- إما أن يكون في رواية معنى زائد فيكرر لأن المعنى الزائد يقوم مقام حديث تام.

- وإما أن يتعسّر فصل الحديث وتقطيعه فإعادته بهيئته تاما أسلم.

وأفاد قسمة الأحاديث:

القسم الأول: ما سلم متنه وإسناده من العلل القادحة، وكان رواته من أهل الاستقامة في الحديث والإتقان.

- من هؤلاء: منصور بن المعتمر وسليمان الأعمش وإسماعيل بن أبي خالد.

القسم الثاني: من هم دون أهل القسم الأول في الحفظ والإتقان لكن يشملهم اسم الستر والصدق وتعاطي العلم.

- من هذا الضرب: عطاء بن السائب، ويزيد بن أبي زياد، وليث بن أبي سليم، وأضرابهم.

- إنما يذكر الإمام مسلم أحاديث هذا الضرب تبعًا لمعنى يحتاج إليه.

القسم الثالث: المتهمّون بالكذب، وأصحاب الغلط الفاحش، ومنكرو الحديث.

- من المتهّمين بالوضع: أبو جعفر المدائني، وعمرو بن خالد، وعبد القدوس الشامي، ومحمد بن سعيد المصلوب، وغياث بن إبراهيم، وسليمان بن عمرو النخعي.

- من منكري الحديث: عبد الله بن محرر، ويحيى بن أبي أنيسة، والجراح بن المنهال، وعباد بن كثير، وحسين بن عبد الله بن ضميرة، وعمر بن صهبان.

وذكر للمنكر علامات فقال:

- علامة المنكَر في حديث المحدث: إذا ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضا خالفت روايته روايتهم أو لم تكد توافقها.

- من كان هذا هو الغالب على حديثه كان مهجور الحديث غير مقبوله عند أهل الحديث... وغير ذلك مما يطول ذكره وتعداده.

لكن شانها بالحدّة التي برزت منه تجاه المخالف له في السند المعلق، واختلف الناس هل يقصد شيخه البخاري، أو الإمام ابن المديني، أم نهجًا حديثيًا معينًا.؟! (١)

(١) توضيح الأفكار ١/ ٣٠١ .

منهج سُنَنِ أبي داود:

ثــم أبــوداود صَّــنفَ الســنن ** فكـان كالسـهلِ النفيسِ الممتنن

خصصــــه بهـــذِه الأحكـــامِ ** وقــــال في المُرَســــل للأنـــام

بأنهـــا أصـــحُّ مـــا في البـــابِ ** مشـهورةٌ مـن غيـرِ مـا اضـطرابِ

ـــــــــــــــــــــــ

الكتاب الثالث في الترتيب المشهور، (السنن) للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السِجستاني ويقال السِجزي...

وقد اتصف كتابه بمزايا منها :-

(١) كونه مرجعية هائلة في أحاديث الأحكام، فقد حوى أصولها وفرائدها، بل سماه الحافظ كما في التلخيص الحبير (أم الأحكام).

(٢) حسنُ ترتيبة وتصنيفه، مما جعله سهلاً قريب التناول الجميع، قال النووي رحمه الله..(٦٧٦)هـ

(٣) كونه حكمـاً بين المتخاصمين، فصلاً في موارد النزاع كما قال عبد العظيم المنذري والحافظ ابن القيم رحمهما الله.



قوله : وقال في المرَسل للأنام : يشير إلى رسالته المبعوثة إلى أهل مكة، حينما طلبوه أن يصف لهم كتابه السنن، فصاغ ما يصلح أن يكون مقدمة لكتابه، كاشفة عن طريقته، ومقدار كتابه، ومنهجه في الانتقاء والتجريح والتعليل. وقد حاول بعض المعاصرين أن يشكك في رساله هذه، ولكنه لم يقدم الأدلة الدامغة في ذلك.

فكان ضمن الرسالة قوله (ص٣٤) : وَإِنَّمَا لم أصنف فِي كتاب السّنَن إِلَّا الْأَحْكَام وَلم أصنف كتب الزّهْد وفضائل الْأَعْمَال وَغيرهَا ، فَهَذِهِ الْأَرْبَعَة آلَاف والثمانمائة كلهَا فِي الْأَحْكَام ، فَأَما أَحَادِيث كَثِيرَة فِي الزّهْد والفضائل وَغَيرهَا من غير هَذَا لم أخرجه. انتهى

وفي "رسالته لأهل مكة (ص٢٢) : فَإِنَّكُم سَأَلْتُم أَن أذكر لكم الْأَحَادِيث الَّتِي فِي كتاب السّنَن أَهِي أصح مَا عرفت فِي الْبَاب ووقفت على جَمِيع مَا ذكرْتُمْ ؟ فاعلموا أَنه كَذَلِك كُله ، إِلَّا أَن يكون قد روى من وَجْهَيْن صَحِيحَيْنِ ،

فأحدهما أقوم إسنادا ، وَالْآخر صَاحبه أقدم فِي الْحِفْظ ، فَرُبمَا كتبت ذَلِك وَلَا أرى فِي كتابي من هَذَا عشرَة أَحَادِيث ". انتهى

وفي (ص٢٥) :" وَلَيْسَ فِي كتاب السّنَن الَّذِي صنفته عَن رجل مَتْرُوك الحَدِيث شَيْء ".

والمقصود بالمتروك في كلامه أي متروك عنده ، فقد يكون متروكا عند غيره ، غير متروك عنده، فيخرج حديثه .

قال ابن رجب في "شرح علل الترمذي" في شرحه قوله ذلك :" ومراده أن لم يخرج لمتروك الحديث عنده ، على ما ظهر له ، أو لمتروك متفق على تركه ، فإنه قد خرج لمن قد قيل : إنه متروك ، ومن قد قيل : إنه متهم بالكذب ". (١)

والمسكوت عنه، مما لم يعلق عليه شيئا، قال (فهو صالح) فاختلف النقاد هل هو صالح للاحتجاج أم للاعتبار والصواب أنه للاعتبار.

وقد لخص أبو الفضل بن طاهر أحاديث أبي داود ومن بعده، إلى ثلاث أقسام الأول: صحيح وهو جنس ما في الصحيحين، والثاني: صحيح على شرطهم

الذي عرفه ابن مندة بأنه إخراج أحاديث أقوام لم يجمع على بركهم، إذا صح بلا قطع ولا إرسال، الثالث: أحاديث أخرجوها للضدية، تارة ثبوتها وتارة على طريقة الفقهاء في ذكر كل ما يحتج به.

وبعضهم حسنه بمطلق : كالنووي وابن الصلاح مطلقًا ، وحكي مثل ذلك عن ابن عبد البر والمنذري رحم الله الجميع .

يقصد أن المسكوت عليه في السنن قال ابن الصلاح والنووي بحسنه، قال ابن الصلاح: (ما وجدناه في كتاب أبي داود مذكوراً مطلقـاً وليس في واحد من الصحيحين، ولا نص على صحته أحد، عرفنا أنه من الحسن عند أبي داود)(١).

وقال الإمام النووي في كتاب (التقريب) وهو يتكلم عن الحديث الحسن: "ومن مظانّه -أي: الحديث الحسن- (سنن أبي داود) فقد جاء عنه أنه يذكر فيه الصحيح وما يشبهه ويقاربه، وما كان فيه وهن شديد بينه، وما لم يذكر فيه

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص٣٣
(٢) التقريب والتيسير النووي ص:٣٠ .

شيئًا فهو صالح؛ فعلى هذا ما وجدنا في كتابه مطلقًا ولم يصححه غيره من المعتمَدين، ولا ضعفه فهو حسن عند أبي داود". (٢)

وقد انتهج ذلك وأصله في مواضع كثيره من شرح المهذب المسمى (المجموع) وهو من أجل وأنفس كتب الفقه المقارن.

أقسام المسكوت عنه في سنن أبي داود :

لكنَّ ذا المسكوتَ في أقسامِ ** ما صحَّ أو كان على تَمامِ

ومنه ما حُسِّنَ في رواتهِ ** أو جاء معضوداً على هنَاتهِ

وهذهِ الأكثرُ بذا الكتابِ ** ومنه ما ضُعِّفَ للتصابي

____

وهنا التحقيق أنه على أقسام كما حرره الحافظ ابن حجر في النكت، قال بل هو على أقسام:

١- منه ما هو في الصحيحين أو على شرط الصحة.

٢- ومنه ما هو من قبيل الحسن لذاته.

٣- ومنه ما هو من قبيل الحسن إذا اعتضد، وهذا ان القسمان كثير في كتابه جدا.

٤- ومنه ما هو ضعيف، ولكنه من رواية من لم يجمع على تركه غالباً وكل هذه الأقسام عنده تصلح للاحتجاج بها(٢).

وقول الناظم: على هناته بقصد الأخطاء التي يجبرها العاضد.



أشهر شروح أبي داود:

مشــــروحُ بـــالمَعلَمِ والصـــعودِ ** والفـــتحِ والعـــونِ وبـــالمجهودِ

وحشّـى ذا الزرعـيُّ تلـك الحاشـيةْ ** فجـــاء بالفوائـــد المشـــافية

ـــــــــــــــــــــــ

يقصد أن شروحه: تعددت منها:

١- معالمُ السنن للخطابي (٣٨٨)هـ. وهو مع وجارته عميق الفائدة.

٢- مَرقاةُ الصعود للجلالِ السيوطي (٩١١) هـ.

٣- فتحُ الودود لأبي الحسن السندي (١٠٣٩)هـ.

٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود(١٣٢٩)هـ لمحمد شمس الحق أبادي .

٥- بذلُ المجهود في حلِّ أبي داود للشيخ خليل السهارنفوري (١٣٤٦)هـ.

٦- حاشـية ابـن القـيم الزرعـي الدمشـقي المعروفـة بتهـذيب سـنن أبـي داود(٧٥١)هـ.

سُنَنِ الترمذي :

والترمـذيْ مِـنْ ترمـذٍ قـد جـاءَ ** وابتـدعَ التقسـيمَ والإرضـاءَ

ومَـنْ يكـنْ في بيتـهِ المُصـنَّفُ ** فهـو نبـيٌّ نـاطقٌ مشـنِّفُ

ـــــــــــــــــــــ

هـذا الامـام الرابـع أبـو عيسى الترمـذي، وكتابه الرابع في الترتيب المشهور، واسمه محمد بن عيسى بن سَورة السلمى الترمذي، ولد في (ترمذ)... سنه (٢٠٩)هـ وتوفى في سنة (٢٧٩) هـ.

قال الذهبي: "محمد بن عيسى بن سَورة، الحافظ، العَلَم، الإمام، البارع، مصنف الجامع، وكتاب العلل وغير ذلك ".(١)

وقال أيضا :"في الجامع علم نافع، وفوائد غزيرة، ورؤوس المسائل، وهو أحد أصول الإسلام لولا ما كدره بأحاديث واهية، بعضها موضوع، وكثير منها في الفضائلِ "(٢).

(١) سير الأعلام للذهبي ١٣/ ٢٧٠ .

يقول الناظم هنا: إن أبا عيسى ابتدع تقسيمًا معينًا في كتابه مما جعله يكسب رضى المطالعين لسنته.

وقد سماه الحاكم والخطيب (الجامع الصحيح) ويقال له أيضًا السنن.

قال هو عن كتابه : (صنفت هذا الكتاب، فعرضتته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضتُه على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم)(١).

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ص(٢/٦٣٤).

أقسام سنن الترمذي :

وقـــــرروا كتابـــــهُ أقســـــامُ ** مـــا صـــحَّحَ الأئمـــةُ الأعـــلامُ

والثـــاني مـــا وافـــقَ أهـــلَ الســـننِ ** وثالـــثٌ للرصـــدِ والتبـــينِ

ورابـــعٌ معمـــولُ أهـــلِ الفقـــهِ ** موسَّـــعٌ فكـــن علـــى تنبـــهِ

ــــــــــــــــــــ

هنا الناظم يشير إلى أقسام كتابه التي ظهرت للنقاد في سننه وقد ذكرها ابن طاهر في شروطه حيث قال:

(وأما ابوعيسى الترمذي رحمه الله، فكتابه على أربعة أقسام) :

١ – قسم صحيح مقطوع به، وهو ما وافق فيه البخاري ومسلم.

٢ – قسم على شروط الثلاثة كما بيننا، أبو داود والترمذي والنسائي.

٣– وقسم أخرجه للضدية، وأبان عن علته ولم يعقله.

٤ – وقسم رابع، أبان هو عنه، فقال : (ما أخرجت في كتابي إلا حديثًا قد عمل به بعض الفقهاء، وهذا شرطٌ موسع) (١)

(١) شروط الأئمة الستة لابن طاهر (ص١٥).

فقول الناظم غفر الله له :- ما صحح الأئمة الأعلام، يقصد البخاري ومسلم وقوله في الرابع معمول أهل الفقه وأنه موسع، يقصدُ أن الفقهاء لهم مآخذهم وقواعدهم الموسعة في التصحيح والتي لايتناسب مع شروط المحدثين.

يُشيرُ للفقهِ وللشواهِدِ ** وجاء بالصنعةِ والفرائدِ

مشروحُ بالعارضِ والنفح الشذيِ والحنبلي الباقي وهذا الأحوذي

من محاسن الترمذي رحمه الله في سننه أنه يذكر شواهد الحديث المخرج، وبعض أقوال الفقهاء.

ومثال على ذلك :- حديث ابن عمر في أبواب الجمعة ، أنه سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ ". وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَجَابِرٍ، وَالْبَرَاءِ، وَعَائِشَةَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ. حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وقال في أبواب الطهارة: عَن أبي امامة رضي الله عنه قال : تَوَضَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ ثَلَاثًا، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، وَقَالَ : " الْأُذُنَانِ

مِنَ الرَّأْسِ ". قَالَ قُتَيْبَةُ : قَالَ حَمَّادٌ : لَا أَدْرِي هَذَا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مِنْ قَوْلِ أَبِي أُمَامَةَ، وَفِي الْبَابِ عَنْ أَنَسٍ. هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِذَاكَ الْقَائِمِ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ ؛ أَنَّ الْأُذُنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ، وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : مَا أَقْبَلَ مِنَ الْأُذُنَيْنِ فَمِنَ الْوَجْهِ، وَمَا أَدْبَرَ فَمِنَ الرَّأْسِ. قَالَ إِسْحَاقُ : وَأَخْتَارُ أَنْ يَمْسَحَ مُقَدَّمَهُمَا مَعَ الْوَجْهِ، وَمُؤَخَّرَهُمَا مَعَ رَأْسِهِ.(١)

وايضـًا: امتاز بالصنعة الحديثية من حيث تقسيمه للأحاديث بهذه الطريقة، وحكمه عليها، وانتهاج منهج خاص في ذلك، حيث الحسن عنده ليس كغيره، بل قيل هو أول من نطق بالحسن الاصطلاحي.

قال أبو جعفر بن الزبير في المفاضلة بين كتب الحديث المشهرة (... وقد اختلفت مقاصدهم فيها، وللصحيحين فيها شُفوف، وللبخاري لمن أراد الفقه

(١) سُننِ الترمذي (٣٧).

مقاصد جليلة، ولأبي داود في حصر أحاديث الأحكام واستيعابها ما ليس لغيره، وللترمذي في فنون الصناعة الحديثية ما لم يشاركه غيره، وقد سلك النسائي أعمقَ تلك المسالك وأجلَّها).

وقال الذهبي: (انحطت رتبةُ جامع الترمذي عن سنن أبي داود والنسائي لإخراجه حديث المصلوب والكلبي وأمثالهما) (١).

وأشهر شروحه عارضة الأحوذي لأبي بكر بن العربي المالكي (٥٤٣)هـ ومعنى الاسم عارضة الأحوذي ، يقول ابن خلكان رحمه الله في ترجمة ابن العربي: "العارضة: القدرة على الكلام، يقال: فلان شديد العارضة إذا كان ذا قدرةٍ على الكلام، والأحوذي: الخفيف الشيء لحذقه، وقال الأصمعي: الأحوذي المشمر في الأمور، القاهر لها، الذي لا يشذ عليه منها شيء".(٢).

والنفح الشذي للإمام ابن سيد الناس اليعمري (٧٣٤)هـ، وكذلك شرح ابن رجب الحنبلي(٧٩٥)هـ وهو مفقود لم يبق منه إلا جزء العلل، المسمى

(١) تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٢٥٠).
(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٧.

(شرح العلل) وهو مرجع اصطلاحي، نادر المثل، ولو وصل الشرح كله، لرأينا كنزاً باهراً، لأن المتبقي دال عليه.

وهو ما عناه بقوله : والحنبلى الباقي، أي المتبقى من المفقود، ثم الأحوذي يقصد تحفة الأحوذي للعالم الهندي المباركفوري (١٣٥٣)هـ.

وغيرها.... سنن النسائي:

والســـــنُ الكبـــــرى للنســــائي ** بحـــرٌ مِـــنَ التعليـــلِ والأنبـــاءِ

اســـــتخرَ اللهَ بـــــذاي الشـــــيوخِ ** وكـــان قـــد يعلـــو مـــع الشـــروخِ

____

وهذا هو الكتاب الخامس في الترتيب المشهور، وإلا فمكانته عالية سامقة السنن للإمام أبي عبد الرحمن النسائي، واسمه أحمد بن شعيب بن على بن بحر ولد سنة (٢١٥)هـ، وتوفى سنة (٣٠٣)هـ، قال الذهبي: (الإِمَامُ، الحَافِظُ، الثَّبْتُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، نَاقِدُ الحَدِيْثِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بنُ شُعَيْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ سِنَانَ بنِ بَحْرٍ الخُرَاسَانِيُّ، النَّسَائِيُّ، صَاحِبُ (السُّنَنِ)[1].

وفي قوله بحر من التعليل، يشير إلى بعض أجداده، وكذلك لتوسعه رحمه الله في سرد العلل الحديثية، وهو ما لم يذكره كتاب من الأمهات الست، وهي مزية فريدة للنسائي رحمه الله. وقد نقل أحمد بن محبوب الرملي عنه بقول : (لما

---

[1] انظر سير الأعلام للذهبي ١١/ ٧٩ .

عزمتُ على جمع السنن، استخرتُ الله على شيوخ كان في القلب منهم بعض الشيء، فوقعت الخيرة على تركهم، فنزلت جملة من الحديث، كنت أعلو فيه عنهم) والمعنى... أنه ترك أسانيد عالية لما في أهلها من الشروخِ والعلل.

وإنـه مـن أحسـنِ التصـنيفِ ** وأبـينِ التعليـل والترصـيفِ
والمجتبـى صـحَّ بغيـر منكـرِ ** كما يقول محمد بنُ الأحمرِ
وابـنُ كثيـرٍ ردَّ في اختصـارهِ ** كلامةُ لكونهِ الأعرفَ في قرارهِ

ــــــــــــــــــــ

قال الحافظ ابن رُشَيد رحمه الله: (كتاب النسائي أبدع الكتب المصنفة تصنيفًا، وأحسنها ترصيفا، وكان كتابه جامعًا بين طريقتي البخاري ومسلم مع حظ كبير من بيان العلل)(١)

واشتهر أن النسائي رحمه الله قد اختصر سننه الكبرى إلى (المجتبى) بالباب أو النون بناء على طلب "أمير الرملة"، حيث انتخب له الصحيح منها، وقيل إنها

---

(١) مقدمة السيوطي على الشرح (١/ ٣).

قصة منقطعة، واختلف المحدثون هل هي من اختصاره أم من عمل راويه أبي بكر بن السني، والأظهر أنها للنسائي، من روايات أخرى، وقد وصفه جمّاعةٌ من المحدثين (بالصحيح) ، عدهم ابن حجر في النكت وهم: ابن مندَه وابن السكَن وأبو علي النَيسابوري والدارقطني وابن عدي والخطيب البغدادي....

ويسمى " السنن الصغرى" تمييزاً له عن الكبرى، وتنطق (المجتنى) بالنون عند بعضهم . ولعل تسميته بالصحيح من باب الغالب وشدة تحريه، وإلا ففيه أشياء مضعفة، وقد علل الشيخ الألباني رحمه الله نحو(٥٠٠) حديثا في السنن، مما يدل أن كلام السابقين فيه تسامح .

قال محمد بن معاوية بن الاحمر (... والمنتخب المسمى بالمجتبى صحيح كله) وقد تعقبه الحافظ ابن كثير في مختصره فقال: (فيه نظَر، فإنَّ فيه رجالاً مجهولين، إما عينا أو حالاً، ومنهم المجروح، وفيه أحاديث ضعيفة ومعللة ومنكرة)(١). ولذلك قال عقيبه:

(١) اختصار علوم الحديث لابن كثير (ص٢٥).

فقيه مجهولٌ كذا مجروحُ ** ومنكـرٌ معلَّـلٌ مطـروحُ

لكنه يُحَملُ في ذا الغالـبِ ** لأنه الأشد في الأصاحبِ

____

ولـذلك يحمـل كـلام هـؤلاء الأئمـة، وراويـه ابـن الأحمـر، علـى الغالـب في الكتـاب، وإلا فقيـه مضـعفات ومنكـرات، ولكنهـا قليلـة، وأكثرهـا علـل مـن أحاديث الثقات وهو بنفسها يعللها، وقد أحصاهم بعض الباحثين[1]، فـذكر أن عددهم حسب التقريب (١٣٦) راويـًا مضعفـًا.

(١) هـو الـدكتور/ عمـر أبـوبكر في مقدمـة رسـالته العلميـة (الامـام النسـائي وكتابـه المجتبى) حيث بحث هـذه المسألة، وانتهى إلـى أن الحكـم بالصـحة مطلقـًا حكـم أغلبي ليس إلا وهو أفضل السنن الأربع شيوخـًا وانتقاءاً. أنظر ص٨٨، وما بعدها.

أشهر شروح النسائي :

حشَّى عليه السندي والسيوطي ** وبعضُ ماكانَ من الشنقيطي

وقد تحاشاهُ كثيرُ الناسِ ** للعلل الشديدة المساسِ

وامتازَ عصرُنا بشرحِ آدمِ ** محمدِ المجتهدِ الملازمِ

____

هنا يذكر الناظم شروح سنن النسائي، فيعد حاشيتين للسيوطي والسندي، وليس فيهما كبير فائدة، وشرح ثالث للشيخ محمد المختار الشنقيطي رحمه الله، صدر منه ثلاثة أجزاء، ومات ولم يتمه.

وشرح رابع : هو أحسنها وأكملها للشيخ محمد بن على بن آدم الأثيوبي الولّوي، المدرس بدار الحديث بمكة المكرمة حرسها الله.

حيث شرحه في (١٤) مجلداً ضخاماً وهي مزية له ولعصرنا، أسماه (ذخيرة العقبى شرح المجتبي) من إصدارات دار المعراج، فجزاه الله خيراً وبارك فيه.

سنن ابن ماجه :

وبعــدهم مصــنَّفُ ابــن ماجــهِ ** وزانــه تقــديمُ ذي الديباجــةِ

لــم يَكُــنِ ابتــداءً في الجماعــة ** ألحقــه ابــنُ طــاهرٍ وذاعَــه

ـــــــــــــــــــــ

الكتاب السادس (السنن) لأبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، مصنف السنن والتاريخ والتفسير، ولد سنة (٢٠٩) وتوفي سنة (٢٧٢)هـ.

افتتح سننه بمقدمة رائقة بهيجة كانت بمثابة الديباجة للكتاب ضمنها أبوابًا مختلفة منها:

بَابٌ : اتِّبَاعُ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ وافتتح بحديثعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ".

واختتمها: بَابٌ : مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ ".

وضمنها : تَعْظِيمُ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بَابٌ : اجْتِنَابُ الْبِدَعِ وَالْجَدَلِ. بَابٌ : اجْتِنَابُ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ. وباب في الايمان وباب في القدر. وباب في فضائل أصحاب رسول الله . وباب في الوصاة بطلبة العلم وغيرها .

ولم يكن ابن ماجه محسوباً من الجماعة، حتى جاء ابن طاهر المقدسي فأدخله في شروط الأئمة الستة . قيل لاحتوائه على زوائد على الخمسة مهمة لم تذكر في موطأ مالك، الذي جعله صاحب جامع الأصول بديلاً عن ابن ماجة، رحم الله الجميع..

قال ابن حجر: " وإنما عدل ابن طاهر المقدسي، ومن تبعه عن عدّ (الموطأ) إلى عدّ ابن ماجه؛ لكون زيادات (الموطأ) على الكتب الخمسة من الأحاديث المرفوعة يسيرةً جدًّا، بخلاف ابن ماجه فإن زياداته أضعاف زيادات (الموطأ).



فأراد بضمّ كتاب ابن ماجه إلى الخمسة، تكثير الأحاديث المرفوعة والتي تثمر المعاني الفقهية الجديدة ، والله أعلم.

وأما شرطه في كتابه، فلم يكن على مسار متين، يوازي إخوانه من الجماعة، وقد تساهل في إخراج أحاديث من المجاهيل وبعض الكذابين، فانحط رتبةً عنهم ولذلك قال عقيبه :

وانحــطَّ في التقــديم والترتيــبِ ** لكونه يروي عن المكذوبِ!

أي في رتبته في الكتب الستة، حيث روى عن بعض المتهمين بالكذب أمثال جبارة بن مغلس كذبه ابن معين...

حتى قال ابو الحجاج المِزي رحمه الله (كل ما تفرد به ابن ماجه عن الخمسة فهو ضعيف)(١). وقَالَ الْحُسَيْنِيُّ: يَعْنِي مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَتَعَقَّبَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: بِأَنَّهُ انْفَرَدَ بِأَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ وَهِيَ صَحِيحَةٌ، قَالَ: فَالْأَوْلَى حَمْلُهُ عَلَى الرِّجَالِ.

(١) تدريب الراوي ١/ ١٠٨ .



وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " كتاب ابن ماجه، فإنه تفرّد فيه بإخراج أحاديث عن رجالٍ متهمين بالكذب، وسرقة الأحاديث، وبعض هذه الأحاديث لا تُعرف إلا من جهتهم، وذلك مثل: حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك، والعلاء بن زيدل، وداود بن المحبر، وعبد الوهاب بن الضحاك، وإسماعيل بن زياد السكوني، وعبد السلام بن أبي الجنوب... وغيرهم".

وفِي إحصاء لبعض المعاصرين أفاد :

- أن ابن ماجه رحمه الله تعالى قد انفرد بـ (١٣٣٩) حديثًا.

- الصحيح منها (٤٢٨) حديثًا.

- والحسن (١٩٩) حديثًا.

- أما الضعيف فبلغ (٦١٣) حديثًا.

- والواهي والمنكر والموضوع (٩٩) حديثًا ، والله أعلم .

والمـزي مـا يُـروى وقـد تفـردا ** مُضَـعفٌ في غالـب وقـد شـداَ

بكونــهِ زادَ علـــى الرفـــاقِ ** وافتـــح الكتـــابَ بالرقـــاقِ

____

يعني زياداته على الخمسة ،والتي كانت مرجحًا له على غيره..!

حيث يبلغُ عدد أحاديث (سُنن ابن ماجه) في طَبعة محمد فؤاد عبد الباقي (٤٣٤١) حديث: منها (٣٠٠٢) حديث أخرجها أصحاب الكتب الخَمسة كلُّهم أو بعضُهم، وبقيّتها وهي: (١٣٣٩) حديث هي الزوائد على الكتب



الخمسة: ومن هذه الزوائد: (٤٢٨) حديث صحيحة الإسناد، ومنها (٦١٣) حديث ضعيفةُ الإسناد، و(٩٩) حديثًا ما بَين واهِية الإسناد، أو مُنْكرة، أو مكْذوبة.

وقد حَكَم ابن الجوزي على (٣٤) حديثًا بالوضْع، وزاد عمر القزويني (ت ٧٥٠هـ) خمسة أحاديث تفرّد بالحُكْم عليها بالوضْع، وأضاف محمد رشيد النعماني (٧) أحاديث أخرى، ثم حَكم الألباني على (٣٢) حديثًا بالوضْع، وحديث آخر بالبطلان؛ فيُصْبح مجموع الأحاديث الموضوعة (٧٨) حديثًا.

ولمقدمته الرائعة الدقيقة، إلى لا غنى لطالب الحديث عنها، وهي جديرة بالشرح والتقريب للأمة...

وزادَ ما يربو وفوق ألفِ ** وفيها ما صحَّ بغير رِدفِ
ومغلطايٌ شرحَ الكتابا ** لكنَّه مخطوط واستطابا
حاشيةَ السيوطي والسندِيّ ** لا يشتهيها الطامعُ الذكيُّ

ـــــــــــــــــــــــ



يقصد أنه أشهر شروح سنن ابن ماجه شرح الحافظ مغلطاي بن قَليح.

وكان مخطوطا ، لكن طبع في (٥) مجلدات سنة ١٤١٩هـ، تحقيق كامل عويضة، طباعةُ نزار الباز ، واللهُ الموفق .

وهناك حاشيتان للسيوطي والسندي، وفيها إعواز كبير، لا يشتهيها الذكي المحب للاستيعاب، ولذلك نرى ان هذا الكتاب، وقد اعتُمد من الأمهات، يجب على الأمة توشحه بشرح مستوفى كما صنع الشيخ محمد آدم الأثيوبى مع المجتبى للنسائي.

موطأ الإمام مالك:

أمـــا إمـــامُ دارِ الهجـــرةِ ** فذكره يفوقُ أهلَ الشهرةِ

قد سهَّل الحديثَ بالموطأ ** وطارَ حسنًا فائقًا وغطَّى

ـــــــــــــــــــــــــ

هذا الكتاب السابع هنا (الموطأ) لإمام دار الهجرة، أبي عبدالله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، شيخ الإسلام، وفقيه الأمة الهمام.

قال فيه الشافعي (إذا ذُكر الأثرُ فمالكٌ النجم)[1]

وقال: " إذا ذكر العلماء فمالك النجم". وقال:" مالك وسفيان: القرينان في إسناد الحجاز ". وفي قول له: «لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز»(١).

وقال: «العلم –يعني الحديث– يدور على ثلاثة: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد».

وقَالَ رحمه الله " مالك أستاذي، وعنه أخذت العلم، وما أحد أمنَّ علي من مالك». (٢)

قد سهل مالكٌ السنن بكتابه الموطأ الذي احتوى أحاديث رسول الله وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وقد انتقاه من مائة ألف حديث كان يرويها، وامتاز

(١) كشف المغطى في فضلُ الموطأ لابن عساكر ص:٣٦ .

بسهولته وقربه من مطالعيه، بحيث جانبته الصعوبة، وفاق غيره من الكتب شهرة وذيوعـًا..

ويُروى أنه لما صنفه، صنف الناس موطاءات مشابهة، فذكر ذلك له فقال: (ماكان لله بقي) (١)وهي كلمة الإخلاص والتجرد لله.

ولا نعرف الآن تلك الموطاءات المنافسة له، رغم ظهور بعضها..

سبب تسميته الموطأ ومحتواه:

وإنّـه سـمّاه للمواطـأةْ ** مِنْ نحوِ سبعينَ بـلا مناوأةْ

وقيـلَ بـلَ يسَّره لتسـيرا ** كمـا تـراهُ واضـحـًا منيـرا

يشتملُ الحديثَ والآثارا ** وذي الفتـاوى بعـده وسـارا

بمكثه اربعينَ في التأليفِ ** فخذ من الإبداعِ والتصنيفِ

____

قيل إنما سماه (الموطأ) لأنه عرضه على سبعين فقيهًا من المدينه فكلهم واطأني عليه(١).

وقيل الموطأ من التيسير والتقريب...

وقد اشتمل الأحاديث والآثار والفتاوى، وسار في تأليفه مدة أربعين سنة، غصت بالتأمل والنظر، وحسن الترتيب والتصنيف.

---

(١) توضيح الأفكار ١/ ٥٢ .
(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٥١٨ .
(٢) السِّير ١٨/ ٢٠٣ .

وقد أثنى جمعٌ من العلماء على كتابه الموطأ، فقال الإمام الشافعي: " ما في الأرض كتاب بعد كتاب الله عز وجل أنفع من موطأ مالك، وإذا جاء الأثر من كتاب مالك فهو الثُّريَّا" ، (٢). وقال أيضًا: ما بعد كتاب الله تعالى كتابٌ أكثرُ صوابًا من موطأ مالك"، وقال ابن مهدي: " لا أعلم من علم الإسلام بعد القرآن أصح من موطأ مالك" ، وقال ابن وهب: "من كتب موطأ مالك فلا عليه أن يكتب من الحلال والحرام شيئًا"، وسُئل الإمام أحمد بن حنبل عن كتاب مالك بن أنس فقال: " ما أحسنه لمن تَديَّن به ". وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: (وإن للموطأ لوقعا في النفوس، ومهابة في القلوب لا يوازنها شيء.)(٣).

وأما عن سبب تأليف الكتاب، فقد قال ابن خلدون – رحمه الله – فى تاريخه: كان أبو جعفر المنصور بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها، وهو القائل لمالك حين أشار عليه بتأليف الموطأ : يا أبا عبد الله، إنه لم يبق على وجه الأرض أعلم منى ومنك، وإنى قد شغلتنى الخلافة، فضع أنت للناس

كتابا ينتفعون به، تجنب فيه رخص ابن عباس، وشدائد ابن عمر ووطئه للناس توطئة، قال مالك : (فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ).

صحَّحه الشافعي بعد الذكر ** ولم يكن محمدٌ بعصرِ

وعدّه "رزينُ" في ذي الستةِ ** و"ابن الأثير" بعده في الجمعة

ــــــــــــــــــ

يقصد أن درجته من الصحة عالية حيث وضعه الشافعي بعد كتاب الله وهو الذكر، قال الإمام الشافعي (٢٠٤)هـ رحمه الله: (أصح كتاب بعد كتاب الله موطأ الإمام مالك).

ولكن ذلك، قبل أن يؤلف البخاري صحيحه، كما قال: ولم يكن محمد بعصر، اي لم يولد بعد، ولم يكن صحيحه قد برز للناس بجواهرة وفرائده النادرة، التي جعلته مقدم الكتب، وزعيمها في التنافس والمفاضلة.

وقد كان الموطأ يُحسَب في الستة، كما صنع رَزين بن معاوية السرقسطي (٥٣٥)هـ في كتابه تجريد الصحاح الستة، وكذلك المجد ابن الأثير (٦٠٦)هـ في كتابه الشهير (جامع الأصول) الذي حوى الخمسة وموطأ مالك فقط.

مشروحُ بالتمهيدِ واستذكارِ ** والقبَسِ التنويرِ للأسرارِ

هنا بدأ في تعداد شروحه وهي كالتالي:

١- التمهيدُ لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، مطبوع في ٢٤ مجلدا بالمغرب.

٢- والاستذكار في شرح مذاهب علماء الأنصار، مطبوع في، وكلاها لحافظ المغرب ابن عبد البر النمري رحمه الله (٤٦٣)هـ.

٣- القبسُ على موطأ مالك بن أنس لابن العربي (٥٤٣)هـ.

٤- تنوير الحوالك للجلال السيوطي (٩١١)هـ.

مسند الإمام أحمد :

والمسـنـدُ الكبيـرُ في الإسـلامِ ** معتمـدٌ مِـنْ غيـر كـلامِ

نقَـاهُ ممـا يقـربُ المليونـا ** فـانظره قـد تلقـى بـه عيونـا

قال أبو موسى أعني المديني ** لم يرو أحمدٌ عَنِ المطعونِ

____

هنا يذكر الكتاب الثامن حسب ترتيب هـذه المنظومـة ولـيس ترتيـب الأصـحية والقدر وهو المسند لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، شيخ الإسـلام حقـا، وإمام السنةِ صدقًا كما قال الذهبي في السير(١).

قوله : والمسند الكبير في الإسلام...

يعتبر من أكبر أسانيد الاسلام، احتوى مايقارب الأربعين ألف حديث.

ولكنه ليس أكبرها بل أكبرها في الفضل والجودة والمكانة...

---

(١) سير الأعلام ١١/ ١٧٧ .



وهو كتاب جليل القدر، مقدَّم، معتمد عند العلماء، رتبه الإمامُ على أسماء الصحابة، مبتدئًا بسابقة الصحابي في الإسلام، ومحله من الدين، فبدأ بالعشرة الخلفاء على غيرهم، ثم أهل بدر، ثم أهل المدينة... وهكذا.

وقال لأبنائه: (هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف حديث وخمسين حديثا، وما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا إليه، فإن وجدتوه وإلا فليس بحجة)(١).

وهنا يعقبه الذهبي بقوله (هذا القول منه على غالب الأمر)لكنه ملئ بعيون الفوائد، ونفائس البدائع..

وشرطه في الكتاب كما قال ابو موسى المديني (٥٨١)هـ.

(لم يخرج أحمد في مسنده إلا عمن ثبت عنده صدقه وديانته دون من طعن في أمانته) (٢).

(١) المقصد الأرشد لان مفلح ١/ ٣٦٦ .
(٢) المصعد الأحمد المطبوع في مقدمة الشيخ شاكر (١/ ٣٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (.. شرط المسند أقوى من شرط أبي داود في سننه، وقد روى أبوداود في سننه عن رجال أعرض عنهم أحمد في المسند، ولهذا كان الإمام أحمد لا يروي في المسند، عمن يُعرف أنه يكذب مثل محمد بن سعيد المصلوب ونحوه، ولكن يروي عمن يضعف لسوء حفظه، فإنه يكتب حديثه ليعتضد به ويعتبر به)(١).

ولذا قال الناظم عقيبه:

(١) مجموعة الفتاوى (١٨/ ٢٦).

شرط المسند :

وشـــرطُه أقـــوى مـــن السِـــجزيَ ** لـم يـرو للمصلـوبِ والمهـويّ

السجزي يعني ـ أبا داود، والمصلوب محمد بن سعيد الشامي السالف الذكر، والمهوي، يقصد المضعف الساقط، والله أعلم.

لكنـــه روى لســـوء الحفـــظِ ** يعضــدُ مــا كــانَ بغيــر لفــظِ

وقيل قـد خـلا مـن الموضـوعِ ** وفيـه تفصـيلٌ لـذي الجمـوعِ

فبعضُـهم نفـى وبعـضٌ جزمـا ** كالحـافظ الجـوزي فـيمَ وهَمـا

وأنكـر الحـراني ذا المكـذوبا ** المُخْلَقَ المصنوعَ والمَعطوبـا

ــــــــــــــــــ

وهنا مسألة مهمة أُثيرت في زمانها : هل يوجد في المسند أحاديث موضوعة؟!

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: (وقد تنازع الناس، هل في مسند الإمام أحمد حديث موضوع، فقال طائفة من الحفاظ كأبى العلاء الهمداني وغيره : ليس فيه موضوع، وقال بعض العلماء، كأبي الفرج ابن الحوزي : فيه موضوع)...(١)

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٦).



قـال : والاخـتلافُ بـين القـولين عنـد التحقيـق .. وفسـر ابـن تيميـة الموضـوع المختلف المصنوع الـذي يتعمـد صـاحبه الكـذب، وهـذا لـيس في المسـند منه شيءٌ.. وما أخطأ فيه الراوي يوجد منه...

فالنافي للموضوع كأبي العلاء الهمداني، والمثبت أبو الفرج ابن الجوزي، وابـن تيمية يفصل، ويكـاد ينفـي الموضـوعات المنكـرة، لكـن الحـافظ ابـن حجـر لـه وجهة أخرى صورها الناظم بقوله :

والحافظُ الفذُّ أبو التحريرِ ** ما فيه من أصلٍ سوى يسيرِ

كقولهِ يـدخلُ فيهـا زحفـا ** فـلا يَصِـحُّ مطلقـًا ووقفـاِ

وذبَّ بالقولِ الذي تسـدّدْ ** فأنصفَ النـاسَ بـه وأسـعدْ

ـــــــــــــــــــــــــ

والحافظ الفذ يعني أحمد بن على بن حجر العسقلاني (٨٥٢) الذي فذَّ بجهـده ومصنفاته النادرة، حيث قال في مقدمة (تعجيل المنفعة): لـيس في مسـند أحمـد حديثٌ لا أصل له، إلا ثلاثة أحاديث أو أربعة منها حديث عن عبد الرحمن بـن

عوف "أنه يدخل الجنة زحفـًا (١)، والاعتذارعنه انه مما أمر الإمام أحمد بالضرب عليه، فتُرك سهواً)(٢)

وللحافظ أيضـًا كتاب (القول المسدد في الذب عن المسند). ورد فيه كلام أبي الفرج ابن الجوزي الذي أدخل فيه الموضوعات...

وقال: وهي عَصَبية مني لا تُخل بدين ولا مروءة، وحمية للسنة لا تعد بحمد الله من حمية الجاهلية(٣) ولا شك أنه انصف أحمد بهذا الكتاب، وأسعد قلوب محبييه من أهل السنة لا سيما الحنابلة: وقال الذهبي : (فيه أحاديث شبه موضوعة، ولكنه قطرة في بحر) (٤)

تقسيم الساعاتي للمسند :

قسَّمهُ أقسامـًا "الساعاتي" ** ما قد رواه الابنُ باستثباتِ

وإنّـــه ثلاثـــةُ الأربـــاعِ ** فكـنٌ علـى تمييـزهِ بـواعِ

ومـا رواه عـن أبـه وغيـرهِ ** ومـا يزيـد بعـده لغيـرهِ

(١) رواه احمد في المسند (٢٤٨٤٢) وقال احمد : كذب منكر.
(٢) تعجيل المنفعة.
(٣) القول المسدد ص٣.
(٤) السير للذهبي (١١/ ٣٢٩).

ومـا قَـراَهُ دونمـا سـماعِ ** وبعـدَه وِجـادةُ الأتبـاعِ

وسادسٌ روايةُ "القَطيعي" ** عن غيرهم بدونما ترقيعِ

____

هـذا نظـم للأقسـام التـي ذكرهـا الشـيخ أحمـد بـن عبـد الـرحمن السـاعاتي ت (١٣٧٨)هـ رحمه الله. حيث قال: بتتبعي لأحاديث المسند وجدتها تنقسم إلى ستة أقسام:

الأول : ما رواه عبدالله بـن أحمـد عـن أبيـه سـماعـًا منه، وهـو المسـمى (مسـند الامام أحمد) وهو كبير جداً يزيد على ثلاثة أرباع الكتاب.

الثاني: ما رواه عبدالله عن أبيه وغيره، وهو قليل جداً.

الثالـث: ماروواه عبدالله عن أبيـه وغيـره، وهـو المسـمى عنـد المحـدثين (بزوائـد عبدالله) وهو كثير بالنسبة للأقسام كلها عدا الأول.

الرابع: ما قرأه عبدالله على أبيه ولم يسمعه منه، وهو قليل.

الخامس: ما وجده عبدالله من كتاب أبيه بخط يده، ولم يقرأه ولم يسـمعه وهـو قليل أيضـًا.

السادس: ما رواه الحافظ أبوبكر القَطيعي عن غير عبدالله وأبيه رحمهما الله، وهو أقل الجميع(١).

وهذه الأقسام ذكرها الناظم في الأبيات السالفة الذكر لمن فقهها وتأملها.

قال محققو الرسالة في مسألة الوضع:

(وأقل ما يقوله المتمكن في هذا الفن، بعد النظر في هذه الأحاديث وما أجاب به العلماء عنها، أنها بالغة الضعف، وكثير يُعلم ببطلان متونها بالبراهين، فلا يمكن أن نشد أزرها تلك المتابعات والشواهد) (٢).

أما حديث (عسقلان أحد العروسين..) فلا تشك في بطلانه ووضعه، آفتة أبوعقال هلال بن زيد البصري، مُجمع على طرح حديثه، قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به بحال، وقال النسائي وأبوحاتم: منكر الحديث، وفي التقريب: متروك(٣).

(١) الفتح الرباني (١/ ٨) المسند ١/ ٧٧/ طبعة الرسالة.
(٢) الضعفاء ترجمة (٦٠٧) والجرح والتعديل ترجمة (٢٩٠) والتقريب.
(٣) انظر تهذيب التهذيب (٤/ ٢٨٩) ..تقريب التهذيب (صـ ١٠٢٦).

رتَّبه الحافظُ بالأطرافِ ** والبنَا بالأبواب والألطافِ

وأوصلَ البلوغَ بالأماني ** فجاء بالنقشِ لذي المباني

ــــــــــــــــــــــ

والمعنى أن ممن خدم المسند ابن حجر في كتابه (إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي) وضمه إلى إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة.

ولكون الكتاب مسنداً يصعب استخراج الحديث منه فقد رتبه على الأبواب الفقهية اللطيفة الشيخ أحمد البنا الساعاتي، فاجادَ وأبدع، ثم شرحه ببلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني في عشرين مجلداً. وهو من أنفس الشروح المعاصرة، يدرك ذلك من طالعه.

الجهود حول المسند:

"وشاكرٌ" في ربعه قد عَمِلا ** مخرِّجًا محقِّقًا معدِّلا

وطُبِعَ الآنَ من الرسالةْ ** محقَّقًا بآلةٍ وهالةْ

____

وممن خدمه خدمة جليلة، يعز نظيرها في عصره الشيخ المحدث أحمد محمد شاكر رحمه الله (١٣٧٧)هـ.

فقد اشتغل في ربعه تقريبًا، وضمنه نكاتٍ علمية، ودقائق إسنادية راقية، لكنه لم يتم ذلك العمل الشريف.

ويسر الله قبل عدة سنوات اهتمام بعض الوجهاء بذلك ومنهم الشيخ عبدالله التركي مدير جامعة الإمام سابقا، فاتفق مع مؤسسة الرسالة، وبفريق عمل متكامل، يرأسهم الشيخ شعيب الأرناؤوط، فأخرجته في (٥٠) مجلداً فاخراً، وهي أحسن الطبعات الموجودة، وقد أشرف على جزء منها أستاذان جليلان في الحديث الدكتور/ أحمد معبد، والدكتور محمود ميرة.

وقوله... محققًا بآلة وهالة: الآلة هي المنهج العلمي المعتمد، وعلى رأسه الشيخ المحقق شعيب الأرناؤوط رحمه الله، وهالة، الحظوة المالية التي سرعت هذا الإنجاز العلمي.

وأما تعداد أحاديثه ، فيقول الحافظُ ابن عساكر رحمه الله: «والكتاب كبير العدد والحجم، مشهور عند أرباب العلم، تبلغ عدد أحاديثه ثلاثين ألفًا سوى المعاد، وغير ما أُلْحق به ابنه عبد الله من عالي الإسناد»، ويقول أحمد شاكر: «هو على اليقين أكثر من ثلاثين ألفًا، وقد لا يبلغ الأربعين ألفًا»، وقدَّرها جولد تسيهر بما يتراوح بين ٢٨ إلى ٢٩ ألف حديث، وكذلك قدرها المستشرق الإيطالي نالينو. بينما النسخة المطبوعة تحتوى على عدد أقل من ذلك، فحسب ترقيم عادل عبد الشكور الزرقي، وقيل عدده (٢٧٦٤٧) حديثًا وفقًا لطبعة مؤسسة الرسالة،منها ٦٤٢ حديثًا من زوائد نجله عبد الله بن أحمد بن حنبل. نفعنا الله وإياكم به ووفقنا لتعلمه وقراءته.

سنن الدارمي .

والدارميُّ سُننًا لا مسندا ** وخطّأوا الذي لـه قد نقَدا

معاصرُ البخاري واستفادا ** مسلمُ والترمذي واستجادا

في تلكـمُ المقدمـة الثمينـةْ ** فإنَّهـــا وافيـــةٌ ســـمينةْ

ــــــــــــــــــــــــ

هذا الكتاب التاسع والأخير وهو سنن الدارمي، وهو أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن السمرقندي التميمي، عاصر البخاري، وروى عنه خارج الصحيح، واستفاد منه، وأخذ عنه مسلم والترمذي توفي سنة (٢٥٥) هـ.

قال عنه الإمام أحمد:(عرضت عليه الدنيا، فلم يقبل وكان ثقة وزيادة، وقال: إنه إمام) (١).

وهل هذا الكتاب (مسند أم سنن) انتقد الناس أباعمرو بن الصلاح رحمه الله، لما سماه مسنداً بجانب أحمد والطيالسي، وهو ما أشار إليه الحافظ العراقي في ألفيته:

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٩٠ .

كمسندِ الطيالسي وأحمدا ** وعَدُّهُ للدارمي انتُقدا

وإنما انتقد باعتباره (سننًا) مرتبًا على الأبواب، فلا يسمى مسنداً اصطلاحًا حديثيا، وإن كان هو مرويًا بالسند، ولكن بعض المحققين المعاصرين، كالشيخ حسين أسد، أثبت أن في المخطوط (المسند الجامع) وكذلك الشيخ الغمري.

وقد افتتح كتابه "بمقدمة ثمينة" سمينة، ضمنها مناقبَ رسول الله، وجملة آداب مهمة لطالب العلم والهدي، والتحذير من البدع، وذم الرأي والفتيا بغير علم، وهي جديرة بالشرح والبيان، وإنها لتعلي من قدر سننه رحمه الله.

مكانةُ سنن الدارمي :

وإنـه الأمثـلُ بالجماعـهْ ** لحُسْـــنهِ ودقــةِ الصـــناعة

يقوله الحافظُ والنواوي ** وابنُ الصلاحِ الفذ والعلائي

ـــــــــــــــــــــــ

وهو أقرب إلى الكتب الستة صحةً ومنزلاً وصناعة قال الحافظ: (وأما كتاب السنن المسمى بمسند الدارمي، فإنه ليس دون السنن في الرتبة، بل لوضم إلى الخمسة لكان أولى من ابن ماجة، فإنه أمثلُ منه بكثير)(١).

ونقل عبد الحي الكِتاني في (الرسالة المستطرفة) عن ابن الصلاح والنووي والعلائي نحو ذلك.

شروحُه لم يَحظَ بالأقادمِ ** لكنه الحظُّ للشيخِ عاصمِ

أطنبــه بفــتحِ ذا المنــانِ ** وجاءَ بالمُبْهجِ في المعاني

ـــــــــــــــــــــــ

(١) تدريب الراوي ١/ ١٩٠ .

يقصد بأنه لـم يشـرح مـن العلمـاء الأقـادم، لكنـه شُـرِح مـن بعـض المعاصـرين كالشيخ أبي عاصم نبيل بن هاشم الغمري، وسماه (فتح المنان شرح وتحقيـق كتاب الدارمي) عن دار البشائر في (١٠) مجلدات سنة ١٤١٩هـ .

وضمَّه الحافظُ في الإتحافِ ** في العشْرةِ الأماهر الأكنافِ

يعني أن ابن حجر رحمه الله، ذكره ضـمن إتحـاف المهـرة، وهـي خدمـة جليلـة للكتاب.

الخاتمة

وإعَلـمْ بـأنَّ هـذي السـننا ** جمَّعهـا الزهـريُّ ثـم دوَّنـا

وعُرِفَ التدوينُ منذُ القدمِ ** خِـلافَ مَـنْ نـصَّ بـلا تحـزّمِ

حرَّره الخطيبُ في التقييـدِ ** وقال عن حَصْرٍ وعن تحديدِ

ـــــــــــــــــــ

هنا يناقش قضية جمع السنة الشامل، وأنه بدأ على يد محمد بن شهاب الزهري رحمـه الله، بـأمر الخليفـة عمـر بـن عبـد العزيـز الأمـوي رحمـه الله في الحـدث المشهور الذي...

لكن تدوين العلم وكتابته كانت معروفة منذ الزمن الأول(١).

كما قال : منذ القدم: والنامي لذلك غابت عنه أخبار التقييدات والصحف التـي ذكـر نمـاذج منها الإمـام الخطيـب البغـدادي رحمـه الله في كتابـه المفيـد (تقييـد العلم).

(١) تقييد العلم للخطيب ص ١١٤ .

حيث ذكرا النصوص المرخصة في كتابه العلم، وبعض الصحائف المنسوبة للصحابة والتابعين، ولكنها كانت محصورة محدوده، ولم تكن ظاهرة عامة.

وعُرف الأصحاَبُ بالصحائفِ ** كالهاشمي والتيمي ذي اللطائفِ

صادقةُ الصحفِ لعبدِاللهِ ** والأشعري والأوفى في تباهي

وجابرٌ همّامُ لابنِ صخرِ ** هذا هو العلمُ فخذه فادرِ

____

فمن الصحف: صحيفة الصدقة لأبي بكر رضى الله عنه، وصحيفة الهاشمي علي بن أبى طالب رضى الله عنه وكلاهما مذكوران في صحيح البخاري[1].

والصحيفة الصادقة لعبدالله بن عمرو بن العاصي، وكذلك صحيفة أبي موسى الأشعري، وعبدالله من أبي أوفى رضي الله عنهما.

(١) البخاري (١٢٥٤) و(١١١) وانظر تقييد العلم (ص٨٨).

وكذلك صحيفة مشهورة عن جابر بن عبدالله الانصاري وصحيفة تدعى (الصحيحة) التي يرويها همام بن منبه عن ابن صخر، والمراد به أبي هريرة الدوسي رضى الله عنه، وقد طبعت بتحقيق الأستاذ محمد حميد الله.

ثم قال .. هذا هو العلم فخذه وادرِ، إما أن يريد التقييد فيه ترسيخ المعلوم، أو أن يريد تثبيت وجود الصحف في القرون الأولى، فتكون رداً على النفاة لذلك وكلاهما حسن.

وكتب الأتباعُ كالصحابةْ ** سعيدُ أيوبُ أبو قلابةْ

مجاهدٌ يَصعَدُ نحوَ الغرفةِ ** ليأتي بالكتبِ بغيرِ خيفةِ

ـــــــــــــــــــــــ

يقول : إنه كما عُرف الصحابه بالكتابة والصحف، كذلك غرف ذلك في التابعين لهم بإحسان نحو: سعيد بن جبير (٩٥) هـ، وأيوب السختياني (١٣١)هـ، وأبي قِلابة (١٠٤)هـ، ومجاهد بن جبر (١٠٤)هـ، تلميذ ابن عباس، قال عنه أبو يحيى الكناس:

(كان مجاهد يصعدُ بي إلى غرفته، فيخرج إليَّ كتبه، فأنسخ منها). وغير هؤلاء ممن لم يذكر الناظم، نحو أبي الزبير المكي وزيد بن أبي أنيسة، وصحيفة هشام بن عروة ، وغيرهم، رحم الله الجميع.

أولُّ من صنفَ في الرجالِ ** الليثُ والفضلُ وذو الكمالِ

وابنَ جريجٍ ضعفَ ومعمرُ ** وإبن يسار جامع مشتهرُ

وابن أبي عروبة والأوزاعي ** وشعبةُ الثوري ذو الإمتاعِ

____

هنا يثير مسألة من أول من صنف في ذكر الرجال وسيرهم ونقدهم.

والجواب كما ذكر: الليث بن سعد رحمه الله (١٧٥)هـ.

والفضل بن دُكين (٢١٨)هـ شيخ البخاري.

وذو الكمال يقصد ابن المبارك، المشهور بتعدد المحاسن والصفات، حتى لايكاد يترك بابًا من الخير إلا طرقه (١٨١) هـ. قال الحسن بن عيسى مولى ابن المبارك: " اجتمع جماعة مِثل الفضل بن موسى، ومخلد بن الحسين،

فقالوا: تعالَوْا نعُد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يَعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه ".[١]

وكذلك سعيد بن أبي عَروبة (١٧٦)هـ عرف بالتصنيف في الحديث النبوي ومثله أبو عمرو الأوزاعي (١٥٦) هـ. وشعبة أبو بسطام (١٦٠)هـ والثوري سفيان (١٦٢)هـ، صاحب الإمتاع بكتبه وفتاويه رحمهم الله.

وغيرهم ممن لم يذكر المؤلف : مالك وجرير وابن وهب المصري وابن عيينة ووكيع وعبد الرزاق رحم الله الجميع.

وأخيراً قال :

وتم ما أُريدَ في ذي الرفعةِ ** فخُذها كالمتقنِ حينَ السرعةِ

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر جـ ٣٢ صـ: ٤٢٩ .

نظمتها في يومِ أو يـومينِ ** بفضـلِ ربنِـا عظـيمِ العـونِ

وخذها مجانـًا بلا أثمانِ ** فقـد نـأوا لأصـغرِ المعـاني

ـــــــــــــــــــــــــــ

والحمدُ لله على ما أنعما ** فقــد هَــدانا ربنــا وأكرمــا

واختصـنا بهـذه الشـروطِ ** نُعيـدُها في النـاس بالمضـبوطِ

ـــــــــــــــــــــــــــ

يقول : تمت المنظومة (جَنَى الرفعة في شروط الأئمة التسعة) فخذها كـالمتقن المهتبل للفرصةُ العلمية، يبادر إليها سـريعـًا، وقـد اسـتغرق نظمـه لهـا يومـًا أو يومين بفضل مَن عونه لا ينقطع، وفضله وسيع المدد... سبحانه وتعالى..

ثم قال : خذها مجانـًا بلا أثمان : أي أنني أعطيتكها بلا ثمـن محـروز، رغـم أن الناس كانوا يَنصَبون في تحصيل أقل المعاني العلميـة، كحـديث واحـد أو شـيخ يلتقيه أو حكمة يتفرد بها.

وهنا يشير إلى مقولة الإمام الشعبي رحمه الله عندما أجاب السائل في مسألة ما قال له: (أعطيتُكها بلا ثمن، فلقد كان يُرحل إلى المدينة فيما دونها)[1].(١)

وقد ذكرها هنا وافيةً مضبوطة ، كاشفةً لشرط كل مصنف ومنهاجه ، واللهُ الموفق .

ثم يحمدُ الله على هذه النعمة المكتسبة في حب المحدثين، والسعي في مطالعة كتبهم وتتبع آثارهم، ومن ذلك أن الله هداه إلى الكتابة في هذه الشروط وبطريقة نظمية، تسهل القواعد الحديثية لجمهرة التلاميذ، وتختصر لهم أطول المسالك وأوعرها، ..

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل...

فرغ منه في الخميس
٢٨/ ٥/ ١٤٣٣هـ
١٩/ ٤/ ٢٠١٢م

---

[1] انظر البخاري (٥٠٨٣) ومسلم (١٥٤).